

امكتبة القبطية على الانترنت



البابيرة نوره الثالث

لماذا نرفض

المطاهرين
لماذا؟؟؟



البابا شنودة الثالث

لماذا نرفض

المطهرات؟؟؟

Why we reject

The Purgatory

By H. H. Pope Shenouda III

1st print

Oct. 1988

Cairo

الطبعة الأولى

أكتوبر ١٩٨٨

القاهرة



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

في الحوار اللاهوتي

مقدمة

هذا الكتاب تقدمه في صراحة ومحبة ، كجزء من الحوار اللاهوتي ، مع أخوتنا الكاثوليك ...

لقد بدأ حوارنا الأول معهم في سبتمبر سنة ١٩٧١م ، قبل أختياري للبطريركية بشهرين . وكان حواراً نظمته جامعة Pro - Oriente في فيينا التي يشرف عليها الكاردينال كيننج . وقد حضرت هذا الحوار كأسقف للتعليم ، ومعى الأب الموقر القمص صليب سوريال ، ممثلين عن الكنيسة القبطية ، مع مندوبين آخرين من رجال اللاهوت عن باقى أخوتنا الأرثوذكس من السريان والأرمن والأحباش والهنود .

وخرجنا من ذلك الحوار الذى دار حول طبيعة المسيح بوثيقة مشتركة .

وثيقة تحمل إيماناً مشتركاً فى هذا الموضوع الخطير الذى كان سبب الإنقسام منذ سنة ٤٥١م حتى الآن . وكنت أنا - بنعمة الله - الذى أقترحت كلمات هذه الوثيقة ، ووافق عليها الجميع من كاثوليك وأرثوذكس . ثم توالى اجتماعات جامعة Pro - Oriente .. ولكن قراراتها كانت تمثل اتفاقات بين اللاهوتيين ، وليست اتفاقاً رسمياً على مستوى رئاسة الكنائس ...

ثم أقيم اجتماع آخر رسمى بيننا وبين الكاثوليك فى دير القديس الأنبا يشوى بتاريخ فبراير سنة ١٩٨٨م ، تمت الموافقة على نفس وثيقة Pro - Oriente ... بصفة رسمية .

واجتئزنا مرحلة ، وبقيت مراحل أخرى ...

بقى أمامنا الحوار في موضوعات : المطهر والغفرانات ، وأنبثاق الروح القدس ، والحبل بلا دنس ، ومسائل أخرى خاصة بالقديسة العذراء مريم ، ومركز كنيسة رومه . وأمر أخرى خاصة بالطلاق ، وبالزواج المشترك ، وبالصوم ، وبالقوانين الكنسية ... إلخ .

وحددنا دورة أخرى للحوار من ٣ إلى ٩ أكتوبر بدبر القديس الأنبا بيشوى لمناقشة موضوعين هما المطهر، وأنبثاق الروح القدس .

وكان لابد لكل طرف أن يقدم عقيدة كنيسته في هذا الموضوع . لذلك رأيت أن أضع هذا الكتاب ليمثل عقيدة كنيستنا . والأسباب التي من أجلها ترفض عقيدة المطهر، وما يلحق بها من غفرانات... وهي عقيدة حديثة، لم تكن من عقائد الكنيسة قبل الإنقسام . وقد أعترف بها مجمع فلورنسا الكاثوليكي سنة ١٤٣٥ م .

وقد وضعت أمامي أهم المراجع العربية الموجودة في المكتبات لعدة أسباب منها :

- ١ - أنها هي التي ينتشر تعليمها في مصر والشرق العربي .
- ٢ - وهي التي يعلمونها لأولادنا في المدارس .
- ٣ - وهي التي يقرؤها الناس ، من الذين لا يقرأون اللاتينية ولا الفرنسية .
- ٤ - وهي التي يرى الشرقيون أنها تعبر عن الإيمان الكاثوليكي .
- ٥ - ولأنها كتب صادرة بتصريح من رؤساء الكنائس الكاثوليكية في الشرق .
- ٦ - ولأن بعض هذه الكتب تعرض لعقائد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، محاولين إثبات عقيدة المطهر من كتبها الطقسية .

وكان أيضاً لابد أن نوضح عقيدة المطهر ، حتى لا نسب عثرة في إيمان أولادنا الأرثوذكسي . وأيضاً لكي نقدم وجهة نظرنا اللاهوتية في هذا الموضوع ، إلى جوار لزومه للحوار اللاهوتي .

وقد سلكتنا في هذا الكتاب بطريقة موضوعية بحتة . فتعرضنا أولاً لما يعتقدُه
أخوتنا الكاثوليك في موضوع المطهر، من واقع كتبهم... ثم ناقشنا ما ورد في هذه
الكتب من الناحية اللاهوتية البحتة. ومواجهتها بالإيمان المسيحي المعترف به من
جميع الكنائس، وبخاصة في موضوعات الخلاص والكفارة والفداء وهي نقاط
أساسية جوهرية في العقيدة المسيحية. ثم طرقتنا أيضاً موضوعات المغفرة والدينونة،
والتطهير والتكفير... مع أمور أخرى .

كان لابد أن نعرض الفكر اللاهوتي السليم أولاً . وبعد الرسو على قواعد
لاهوتية ثابتة، نبدأ في مناقشة مفاهيم النصوص .

وتناولنا كل النصوص المستخدمة وناقشنا المفهوم منها ودلالاته . | علماً بأن كلمة
(المطهر) لم ترد في الكتاب المقدس كله . وبالتالي لم ترد في كل تفاسير الآباء
الأول للكتاب .

ولى نصيحة أقدمها لأخوتي الكاثوليك بكل حب ، ومن عمق أعماق قلبي ،
وبضمير صالح أمام الله (عب ١٣ : ١٨) (أع ٢٣ : ١) ، ومن أجل خيرهم ...

نقوا الكتب العربية التي كتبت عن المطهر . وإثبات ذلك ما ورد في هذا
الكتاب . وإن كان هناك اعتقاد جديد بخصوص المطهر، أرجو أن تنشروه
باللغة العربية، ومن سلطة كنسية .

وشكراً ...

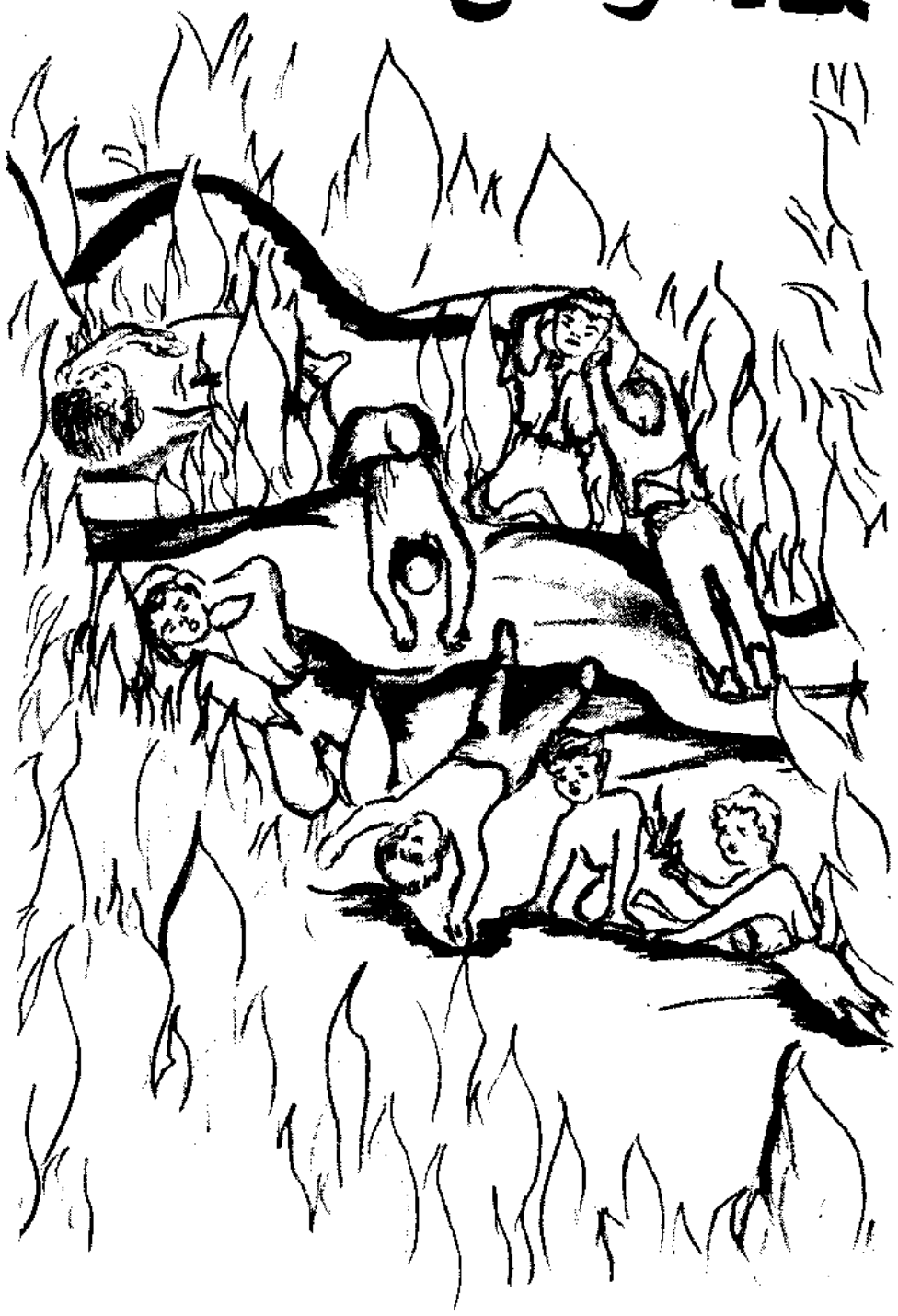
وأنا مستعد أن أصدر كتاباً آخر عن المطهر ، إن أردتم ...

ولو أنني أرى - الآن - أن هذا يكفي ... ،،،

البابا شنودة الثالث

٢٧/٩/١٩٨٨م (عيد الصليب)

لماذا نرُفَضُ



الفصل الأول

إخواننا الكاثوليك
عفيّة

ما هو المطهر؟

هو في اعتقاد الكاثوليك حالة ، أو هو مكان ، أو هو حالة ومكان ...

هو نار ، وعذاب ، وحبس ، واعتقال . هو عقوبات ، ووفاء قصاص ، وعملية تكفير...

وسببه هو أن توفي النفس للعدل الإلهي ، الديون التي غادرت النفس هذا العالم وهي مثقلة بها .

سواء كانت هذه الديون ، هي جرم الخطايا العرضية ، أو بقايا أو آثار الخطايا المميتة المغفورة من جهة الذنب ، وليس من جهة العقوبة .

المطهر عقوبة وتكفير

ويعرف أخوتنا الكاثوليك المطهر، بأنه مكان وحالة للتطهير بواسطة عقوبات زمنية .

وقد حدّد مجمع ليون وجمع فلورنس «أن الذين يخرجون من هذه الحياة، وهم نادمون حقيقة وفي محبة الله، لكن قبل أن يكفروا عن خطاياهم وإهمالاتهم بأعمال توبة وافية، تتطهر نفوسهم بعد الموت بعقوبات مطهرة» .

[مجمع ليون ، وجمع فلورنس] (١) .

يقسم أخوتنا الكاثوليك العذاب إلى نوعين :

أ - عذاب الخسران ، أو عذاب الحرمان . «وهو الحرمان من رؤية الله والتمتع به . ولكن هذه العقوبة تقترن دائماً بالثقة الوطيدة في السعادة الأخيرة [بعد

المطهر]. لأن الموتى في المطهر يعرفون أنهم أبناء الله وأصدقاؤه . ويتوقون إلى الاتحاد به اتحاداً صميمياً . فيزيدهم شعورهم هذا ألماً بهذا الفراق المؤقت» (١) .

والعذاب الآخر هو عذاب الحواس . ويجمع علماء اللاهوت على أن عذاب الحواس يضاف إلى عذاب الحرمان (١) .

وهنا تبدأ مناقشة مشكلة (النار) والخلاف حولها ...

وقد ورد في كتاب (اللاهوت النظرى) إن « النفوس المعتقلة في المطهر تكابد عذاب الخسران بفقدانها الخير الأعظم . ولكن هذا العذاب لا يسقطها في اليأس ، لأنها ترجو الفوز يوماً ما بالسعادة السماوية» (٣) .

« وفوق ذلك أنها تقاسى عذاب الحس كما يستدل عليه من أقوال الآباء ومن كلام المجمع الفلورنتينى الذى قال عن هذه النفوس «إنها تطهر بالعذابات» (٣) .
وجاء في قرارات مجمع ترنت (جلسة ١٤ فصل ٨) :

« التائب يتكبد تلك القصاصات ، لكى يفى عدل الله الذى أهانه بخطاياها» .

ورد في كتاب اللاهوت النظرى :
العقاب الزمنى الذى تستوجبه الخطايا المرتكبة بعد المعمودية ، لا يترك بمحو الذنب ... والحال أنه كثيراً ما يتفق أن يموت البعض مثقلين بخطايا عرضية ، وأن بعض الصالحين يموتون قبل أن يتمموا وفاء ما يلزمهم من الكفارة عن العقاب الزمنى المرتب على الخطيئة المميتة . فما الحكم على مثل هؤلاء :
أنهم يهلكون ، ولكن هذا منافع للصواب ؟! أم أنهم يفوزون بالغبطة السماوية وهم ملطخون بالدنس ، وهذا أيضاً بعيد عن المعقول ؟! أم أنهم بمجرد

(١) مختصر في علم اللاهوت العقائدى ج٢ ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) اللاهوت النظرى لالياس الجميل ج٢ ص ٤٩٨ .

(٢) مختصر في علم اللاهوت العقائدى - ج٢ ص ١٥١ ، ص ١٥٢ .

• اللاهوت النظرى - لالياس الجميل ج٢ ص ٤٩٧ .

موتهم يتقون من كل إثم . وهذا ما لا دليل عليه؟! بقى إذن التسليم بأنه يوجد بعد الموت حال غير ثابتة فيها تطهر النفوس من كل دنس قبل دخولها فردوس الأبرار وهذه الحال هي المطهر* .

المطهر النار

وقد حدث اختلاف في طبيعة هذه النار : هل هي نار مادية أم لا . « فالآباء اللاتين يقولون إنها نار فيزيقية (طبيعية) » . ويقول كذلك العديد من علماء اللاهوت الحديثين ، معتمدين على ما ورد في (١ كو ٣ : ١٥) .

ولكن الاعلانات الرسمية الصادرة عن المجمع ، التي أثارها اليونان الأرثوذكس المنكرون لوجود نار مطهرة ، تتكلم فقط عن عذابات مطهرة ، لا عن نار مطهرة (٢) .

الآباء اللاتين أخذوا النار على المعنى الحرفي . وقالوا بأنها نار فيزيقية للتطهير ، جعلت لتمحو الخطايا العرضية التي لم يكفر عنها .

وقد ورد في كتاب (اللاهوت النظرى) :

« أما القول بوجود نار حقيقية في المطهر ، فهو رأى كثير الاحتمال ، لإجماع اللاهوتيين عليه ، ولأن كثيراً من الآباء قالوا به . إلا أنه ليس إيمانياً » (٣) .

المطهر عذاب

يتحدث المجمع التريدينتيني عن «عذاب زمنى يجب على الخاطيء التائب وفاؤه ، في هذا العالم ، أو في الآتى في المطهر ، قبل أن يفتح له طريق الملكوت السماوى» .

[الجلسة ٦ - قانون ٣] .

وقيل في كتب الكاتشيزم ، في كتاب التعليم المسيحي الذي أصدرته الرابطة الكهنوتية ببيروت - المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦٤م .

٤١١ - ما مصير النفس بعد الموت ؟

بعد الموت تمثل النفس أمام الخالق ، لتؤدى حساباً عن أعمالها . وهذه هي الدينونة الخاصة . وفي بند ٤١٤ يعقب الدينونة الخاصة الجزاء العادل .

٤١٧ - هل تدخل النفس البارة السماء حالاً بعد الدينونة ؟

إن النفس البارة بعد الدينونة الخاصة ، غالباً تدخل المطهر ، وهو عذاب أليم ، به تفى النفس ما تبقى عليها من عقاب زمني .

هذا هو ما يتعلمه أولادنا في المدارس الكاثوليكية عن المطهر...

ويقول الأب لويس بروسوم في كتابه (المطهر) صه عن العذابات الجهنمية « المقصود هنا بالعذابات الجهنمية ، كما لا يخفى ، هو العذابات المطهرة التي لا فرق بينها وبين العذابات الجهنمية ، إلا فيما عدا أن الأولى دائمة والثانية مؤقتة » !!



يقسم أختوتنا الكاثوليك كل البشر إلى ثلاثة أنواع :

أ - نوع بار كامل صالح ، وهذا يذهب إلى السماء ، مباشرة بعد الموت .

ب - نوع شرير . وهذا يذهب مباشرة إلى جهنم .

ج - نوع ثالث مؤمن ، وبار ، ومحِب لله . ولكن عليه للعدل الإلهي ديوناً لم يقم بوفائها بعد . وهذا يذهب إلى المطهر . وهذا النوع يشمل غالبية البشر .

وهذه الديون إما بسبب الخطايا العرضية التي لم يقدم عنها توبة ، أو فاجأه الموت قبل التوبة . أو بسبب خطايا مميّنة تاب عنها ، وغفرت له ، ونال الحلّ

عنها . ولكنه مات قبل أن يوفى حسابها من العقوبة .

وقد حدد مجمع ليون ومجمع فلورنس « أن الذين يخرجون من هذه الحياة ، وهم نادمون حقاً ، وفي محبة الله ، ولكن قبل أن يكفروا عن خطاياهم وإهمالاتهم بأعمال توبة وافية ، تتطهر نفوسهم بعد الموت بعقوبات مطهرة » (١) .

وفي شرح هذه الأنواع الثلاثة قال الأب لويس برسوم في كتابه (المطهر) :

« وإنه طبقاً لهذه الدينونة الخاصة ، لا الدينونة العامة ، يتقرر مصير الإنسان الأبدى : فإن كان صالحاً كل الصلاح ، يذهب تَوَّافاً إلى السماء كلعازر المسكين الذي نقلته الملائكة إلى أحضان ابراهيم » (لوقا : ١٦ : ٢٢) .

« وأما إذا كان شريراً الشر كله ، فإنه يذهب إلى جهنم النار ، مثل ذلك الغنى الذي يذكره القديس لوقا في (١٦ : ٢٤) » .

أما إذا كان بَيْنَ بَيْنٍ ، أى لا صالحاً الصلاح كله ، ولا شريراً الشر كله ، كما هي الأغلبية الساحقة من بنى البشر ، فإنه يذهب إلى المطهر ، إلى ما شاء الله أو بالحرى كما يقول الإنجيل « حتى يوفى آخر فلس » عليه للعدالة الإلهية (متى : ٥ : ٢٦) .

ثم يعود المؤلف ليشرح فكره « بتعبير آخر » فيقول :

« من مات وهو في حالة « النعمة المبررة » وليست عليه أية ديون نحو العدل الإلهى ينفى بها ، كالطفل المعمد مثلاً ، فإنه يذهب إلى السماء مباشرة ، حيث يعاين الله وجهاً لوجه إلى الأبد (١ كو١٣ : ١٢) » .

« وأما إن مات مجرداً من حلة العرس « النعمة المبررة » (راجع متى ٢٢ : ١ - ١٤) أى من كان ضميره مثقلاً بوزر الخطية المميتة التى لم يتب عنها ، فإنه يذهب من فورهِ إلى عذاب اللهب الأبدى » .

« وأما من فارق الحياة ، وهو في حالة النعمة المبررة ، ولكن ضميره كان مثقلاً ببعض الخطايا ، مما يغفر في الدهر الآتى ، فإنه يذهب إلى المطهر لينال مغفرة تلك الخطايا ، لا بالحلّ منها كما فى سر التوبة ، بل بالحلّ منها عن

ويقول نفس المؤلف أيضاً في نفس كتابه ص ١٣ عن حالة النفس عند الموت :
« وأما إذا كانت مذنبية بذنوب عرضية ، ومن ثم في حاجة إلى تطهير ، فإنها تحت
وقر هذه الذنوب ، تحس بحالة من الإنسحاق ، بحيث أنها تنحدر إلى المطهر من
تلقاء ذاتها » .

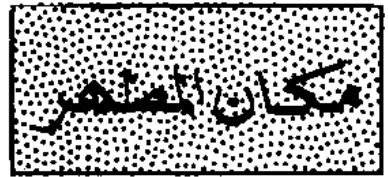
أما متى تنتهي العقوبة في المطهر ، فيقول المؤلف في ص ٢١ :

« حتى إذا ما تطهرت النفس تماماً من كل شائبة خطية ، وأوفت ما
تبقى عليها من قصاصات زمنية مرتبة على خطاياها المميّنة المغفورة ، أدخلت
من فورها إلى السماء ، مقر الطوبا وبين من الملائكة والقديسين » .

ويقول نفس المؤلف في ص ٢١ أيضاً تعليقاً على قول السيد المسيح إن التجديف
على الروح القدس لا مغفرة له في هذا الدهر ، ولا في الدهر الآتي (متى ١٢ :
٣٢) . يقول : معنى ذلك أن هناك من الخطايا ما يغفر في الدهر الآتي .

فإذا سألت : « ما هي الخطايا التي تغفر في الدهر الآتي ؟ » ... أجبتك
أنها الخطايا غير الثقيلة ، أي الخطايا العرضية ، كالخطايا التي تصنع دون
معرفة كاملة ، أو دون إرادة كاملة ، وكخطايا السهو وما إلى ذلك .

ويخلص من ذلك أن هذه الخطايا عقوبتها في المطهر (ص ٢٢) . ذلك « لأن
الخطايا الثقيلة ، لما كان عقابها جهنم ، وجهنم هي أبدية ، إذن فهي غير قابلة
للمغفرة في الدهر الآتي » (ص ٢١) .



ورد في كتاب (اللاهوت النظرى) :

« وأما ما يتعلق بمكان المطهر ، فغير محقق . وقد أرتأى القديس توما أنه في
أسفل الأرض حيث هي جهنم ، بحيث أن النار التي تعذب الهالكين في
جهنم ، هي عينها تطهر الصالحين في المطهر » (٤) .

الأب لويس برسوم يسمى المطهر « السجن المؤقت » (ص ٢١) .

وهو يحاول أن يثبت أن المطهر هو السجن ، من قول الرب « كن سريعاً في مرضاة خصمك مادمت معه في الطريق ، لتلا يسلمك الخصم إلى القاضي ، ويسلمك القاضي إلى الشرطي ، فتلقى في السجن » (متى ٥ : ٢٥ ، ٢٦) .

ويقول عنه أيضاً إنه « مكان الألم والكآبة والتنهّد » (ص ٢٢) .

ومن العجيب أن الأخوة الكاثوليك في محاولة لأثبات وجود المطهر من آيات الإنجيل ، أعتدوا على قول الرسول « لكي تجنّبوا باسم يسوع كل ركبة مما في السماوات وما على الأرض وما تحت الأرض » (في ٢ : ١٠) .

فقال الأب لويس برسوم في كتابه (المطهر) ص ٢٦ .

« ولكن من هم الذين يجثون باسمه تحت الأرض ؟ ترى ، هل هم المالكون الذين في جهنم ؟ كلا بالطبع... » .

واذن فلا مفر من الاعتقاد بأن الذين تجثو لإسم يسوع ركبهم تحت الأرض ، هم النفوس المعتقلة إلى الحين ، في ذلك المكان الواقع في باطن الأرض والذي أعده الله لتطهير الذين ينتقلون من عالمنا إلى العالم الآخر ، ولا تخلو نفوسهم من بعض الشوائب والعيوب ، التي تحرمها مؤقتاً من دخول السماء . والنتيجة هي - شتاً أم آيينا - فلا بد من التسليم بوجود المطهر !!

المطهر سجن واعتقال

إذن هنا تعليم بأن المطهر هو سجن تحت الأرض ، في باطن الأرض ، يذهب إليه الذين لهم بعض الشوائب ليتطهروا...

وتعبير السجن أو الاعتقال قرره مجمع تريدينث للكاثوليك :
الذي قرر في جلسته الخامسة والعشرين أنه « لما كانت الكنيسة الكاثوليكية

التي يرشدها الروح القدس ، قد علمت في مجامعها المقدسة ، وحديثاً في هذا المجمع المسكوني بأن ثمة مطهراً ، وبأن النفوس المعتقلة فيه تُساعد بصلوات المؤمنين ولاسيما بذبيحة المذبح الكفارية ، فإن هذا المجمع يوصي الأساقفة بأن يهتموا الاهتمام كله بأن يؤمن المؤمنون بهذا التعليم الصادق عن المطهر...» .

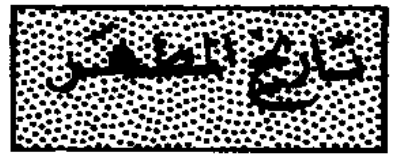
٥ - الأب لويس برسوم : المطهر ص ٣٩ ، ٤٠ .

وقيل في تعريف المطهر أيضاً إنه :

« حبس يدعى نار المطهر ، تتعذب فيه أنفس الأتقياء إلى زمان معين ومحدود ، وتطهر لكي تقدر أن تدخل الوطن السماوي وبلاؤها الأبدية ، التي لا يدخل إليها شيء نجس » .

« تذهب إليه نفوس الأبرار بعد الموت : إما لتطهر من خطاياها الطفيفة ، أو لتوفى عن قصاصات الخطايا المغفورة ، إن لم تكن قد وفّت عنها وهي على الأرض » .

وقيل عن المطهر أيضاً « يدخل إليه جميع الذين يموتون في الكنيسة الكاثوليكية ، ولكنهم لم يوفوا بعد قصاص خطاياهم الزمى بكماله ، بحسب قانون سر التوبة . وهو مكان عذاب » .



الكتاب المقدس كله ، من أول سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا ، لا تجد فيه عبارة المطهر ، لا في العهد القديم ، ولا في الإنجيل ولا في الرسا سفر من الأسفار . فمتى عرفت هذه العبارة ؟!

يقول الأب لويس برسوم الفرنسيكاني في كتابه (المطهر « وأما الذي قرر أن يسمى « مكان تطهير النفوس » با بناء على التقليد الشائع وقتذاك وسلطة الآباء القديسين ،

الرابع في خطاب له لأسقف توسكولو (مدينة بجوار رومه) بتاريخ ٦ مارس سنة ١٢٥٤ أى في منتصف القرن الثالث عشر. وهنا نسال :

ما هي المجامع الكاثوليكية التي قررت المطهر :

يجيب نفس المؤلف في صفحة ٣٩ من كتابه :

« هذه العقيدة حددها كل من مجمع لاتران المسكونى سنة ١٢١٥ ، ومجمع ليون المسكونى (١٢٧٤) ومجمع فلورنسا المسكونى (١٤٣١) و مجمع تريدنت المسكونى (١٥٤٥ - ١٥٦٣) . وأيدها تأييداً كاملاً آخر مجمع مسكونى ، ألا وهو مجمع فاتيكان الثانى بقوله «إن هذا المجمع يتقبل ، بعمق التقوى ، إيمان أجدادنا المبجل ، الخاص بهذه الشركة الحيوية القائمة بيننا وبين أخوتنا الذين وصلوا إلى المجد السماوى ، أو الذين لا يزالون يتطهرون بعد موتهم » .

من هنا نرى أن عقيدة المطهر لم تقرر عند الكاثوليك إلا في القرن ١٣ ، وتثبتت عندهم في القرن ١٥ .

وقد عارضها جميع الأرثوذكس في العالم ، سواء الكنائس الأرثوذكسية القديمة ، التى رفضت مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م ، أو الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية التى رفضت أنبثاق الروح القدس في القرن الحادى عشر ، أو الكنائس البروتستانتية التى رفضت أموراً عديدة جداً منذ القرن ١٥ .

وأصبحت الكاثوليكية - في قضية المطهر - تواجه كل هؤلاء .



يرى أخوتنا الكاثوليك أنه لا بقاء للمطهر بعد الدينونة العامة .

فقد ورد في كتاب (مختصر في علم اللاهوت العقائدى) الجزء الثانى

ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

لن يدوم المطهر إلى ما بعد الدينونة العامة (قضية عامة) .

« بعد ما يصدر الديان الأعظم حكمه (متى ٢٥ : ٢٤ ، ٤١) ، لن يكون غير السماء والجحيم » .

« أما المدة المحددة للامتحان المطهر ، فلا سبيل إلى معرفته لكل نفس بمفردها ، ويقول أيضاً « يدوم المطهر لكل نفس إلى أن تتطهر من كل إثم وعقاب وعندئذ تدخل مطهرة إلى النعيم السماوى » .

وورد فى كتاب اللاهوت النظرى لالياس الجميل ص ٤٩٨ :

« إنه من المحقق أيضاً أن المطهر لا يتجاوز يوم الدينونة الأخيرة . وأن العذابات فيه تختلف شدة وخفة باختلاف الخطايا التى تكفر النفوس فيه عنها » .

مَعُونَةُ النَفُوسِ فِي المَطْهَرِ

وسط العذابات التى يكابدها المعتقلون فى المطهر ، تعلم الكنيسة الكاثوليكية بأن هؤلاء يعانون بصلوات المؤمنين ، وبتقديم ذبيحة الأفخارستيا المقدسة . وبالأعمال الصالحة التى للمؤمنين ، كالأحسانات

هناك معونة أخرى من القديسة العذراء ، التى يلقبها الكاثوليك بسيدة المطهر .

وقيل أيضاً إن البابا له سلطان على تخفيف العقاب .

وقيل إن النفوس التى فيه تعان بصلوات الأنبياء ، ولاسيما بذبائح المذبح المرضية .

وعن الذين يدخلون المطهر ، ورد فى معجم اللاهوت الكاثوليكى ، الذى ترجمه المطران عبده خليفة ، عن المطهر ص ٣٢٣ :

« فرض هذا المفهوم منذ العصور الوسطى ، ليدل على مراحل التطهير...

والإنسان يخضع لهذه المراحل التطهيرية، إذ يموت مبرراً بالنعمة، بمقدار ما تكون حالة «العقاب» المستحق لا تزال موجودة فيه. ولم تزل بزوال الخطايا بالغفران يوم التبرير».

ويقول « يجب أن لا تمنعنا كلمة المطهر من أن نجد كلمة أصح وأحسن لتدل على هذه المراحل التي نوهنا عنها. علماً بأن النظريات النفسانية والتربوية لا تحبها كثيراً (وهذه الملاحظة تنطبق خاصة على الكلمة الألمانية Fegfeuer التي تعنى حرفياً: النار المطهرة (ملاحظة المترجم) .

المختصة

إن المطهر مكان عذاب ، وعذاباته تشبه عذابات جهنم .
وهو مكان سجن واعتقال ، ويوجد تحت الأرض ، كالهواية .
وهو نار ، أياً كان نوع هذه النار ...
وهو للقصاص ، حتى للخطايا المغفورة .

ويدخله الغالبية العظمى من البشر ، الأبرار الأتقياء ، من محبي الله وأولاده ... حتى من أجل السهوات والهفوات ، والخطايا غير الإرادية ، والتي بغير معرفة ...

أتراه يعطى صورة عن عدل الله وقداسته ، كما يقال ؟!
ولكنه لا يعطى صورة عن محبة الله ، الذي أحب حتى بذل (يو ٣ : ١٦) ..
إن هذا هو المطهر

المطهر هو أَسْوَأُ مَسْجُودٍ الْحَيَسَاءِ بِعِنْدِ الْحَيَاتِ

الفصل الثاني :

رفض المطهر
من الناحية اللاهوتية

ضد الكفارة والفداء

المطهر

عجيب أننا نقرأ في القرارات والشروحات الخاصة بالمطهر ، عبارة «يكفر عن خطاياها» أو عبارة «يوفي ديونه تجاه العدل الإلهي» !!

بينما الكفارة هي عمل السيد المسيح وحده .
وهو وحده الذي وفي كل مطالب العدل الإلهي .

ولو كان الإنسان يستطيع أن يكفر عن خطاياها ، أو يوفي مطالب العدل الإلهي ، ما كانت هناك ضرورة أن الإبن يخلى ذاته ، ويأخذ شكل العبد ، ويتجسد ويصلب ويتألم ويموت ... !!

ما لزوم التجسد إذن ؟ وما لزوم الفداء ؟ وما الحكمة فيه ؟!

أساس عقيدة الكفارة والفداء ، أن الإنسان عاجز كل العجز عن إيفاء مطالب العدل الإلهي ... مهما فعل ، ومهما عوقب ، ومهما نال من عذاب ... والآيات الكتابية الخاصة بكفارة المسيح كثيرة جداً ، منها :

(١يو ٢ : ١ ، ٢) « وإن أخطأ أحد ، فلنا شفيع عند الآب : يسوع المسيح البار . وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم .

(١يو ٤ : ١٠) « ليس إننا نحن أحببنا الله ، بل أنه هو أحبنا ، وأرسل ابنه كفارة عن خطايانا » .

(رو ٣ : ٢٤ ، ٢٥) « متبررين مجاناً بنعمته ، بالفداء الذي يبسوع المسيح . الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه ، لإظهار بره ، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة » .

الله هو الذى يكفر عنا . لذلك قيل فى المزمور :

« لك ينبغى التسبيح يا الله . معاصينا أنت تكفر عنها » (مز ٦٥ : ١ ، ٣) .

نعم أنت ، وليس نحن . لأن الجزء غير المحدود للخطايا ، لا يستطيع مطلقاً أن يوفيه الإنسان المحدود . ولو كانت العقوبة تصلح للتكفير، لكان الله قد استخدم العقوبة بدلاً من أخلاء الذات والتجسد والفداء ...

الكفارة منذ العهد القديم ، تتعلق بالدم والموت ...

لذلك قيل فى الكتاب بكل صراحة « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) . وقال السيد المسيح نفسه لتلاميذه القديسين « هذا هو دمي الذى للعهد الجديد، الذى يسفك من أجل كثيرين، لمغفرة الخطايا » (متى ٢٦ : ٢٨) . وهكذا كثرت الذبائح فى العهد القديم . وكانت كلها رمزاً للسيد المسيح . وكان دمها الذى يكفر به، رمزاً لدم هذا المصلوب . وهكذا تنبأ اشعيا النبي قائلاً :

« كلنا كفنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا » (اش ٥٣ : ٦) .

لاحظ عبارة « إثم جميعنا » . فمادام قد حمل آثام الكل ، فما معنى العقوبة فى المطهر؟! أليس هو الذى حمل العقوبة ، كل العقوبة ، عنا . ودفع الثمن ، كل الثمن ، عنا « وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا » (اش ٥٣ : ٥) . نحن عاجزون عاجزون عاجزون عن إيفاء العدل الإلهي ، وسنظل عاجزين إلى أبد الأبد . وتكفير الإنسان عن خطاياها بعقوبة أو نسك ، هو أمر مرفوض لاهوتياً .

لذلك نحن نرفض كل العبارة التى ترد فيها عقيدة المطهر عن إيفاء الإنسان للعدل الإلهي ، والتكفير عن خطاياها بعذابات ، أي كانت مدتها ، وأي كانت شدتها . لأن المطهر ضد عقيدة الخلاص . فالكفارة من عمل المسيح وحده .

ضد عقيدة الخلاص

المطهر

فالخلاص هو بالدم فقط ، دم المسيح وحده ...

هذه هي عقيدة الفداء ، وهذه هي عقيدة مغفرة الخطايا في المسيحية .

دم المسيح ، هو المطهر الوحيد الذى تؤمن به ، بالمعنى اللاهوتى السليم .

وهذا هو ما قاله القديس يوحنا الحبيب فى تطهيرنا . ولتتنا نحفظ عبارته هذه الخالدة :

« دم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية » (١ يوحنا : ٧) .

وعبارة (كل خطية) عبارة شاملة ، تشمل كل أنواع الخطايا التى يذكرها إخوتنا الكاثوليك : الخطايا العارضة ، والخطايا المميتة... الخطايا الطفيفة ، والخطايا الثقيلة... نعم ، يطهرنا من كل خطية . وكما قيل أيضاً « هو أمين وعادل ، حتى يغفر لنا خطايانا ، ويطهرنا من كل إثم » (١ يوحنا : ٩) .

الشرط الوحيد هو التوبة « إن اعترفنا بخطايانا » « إن سلكتنا فى النور » (١ يوحنا : ٧ ، ٩) .

وهذا التطهير تعبر عنه آية أخرى وهى « غسلوا ثيابهم ، وبيضوا ثيابهم فى دم الحمل » (رؤى : ٧ : ١٤) . قال القديس يوحنا هذا عن « جمع كثير ، لم يستطع أحد أن يعده ، من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة » كانوا واقفين أمام العرش ومتسربلين بثياب بيض » (رؤى : ٧ : ٩) .

وعن هذا الدم ، قال القديس بولس الرسول « بل بدم نفسه ، دخل مرة واحدة إلى الأقداس ، فوجد فداءً أبدياً » (عب : ٩ : ١٢) . وقال « إذ لنا فيه الفداء ، بدمه غفران الخطايا » (أف : ١ : ٧) .

ولذلك اشترانا الرب بدمه الكريم . ولذلك غنى أمامه الأربعة والعشرون
كاهناً في سفر الرؤيا، وقالوا له « اشتريتنا لله بدمك، من كل قبيلة ولسان وشعب
وأمة » (رؤ ٥ : ٩ ، ١٠) .

من أجل هذا نحب الصليب ، الذى عليه دفع ثمن خطايانا .
أما وجود المطهر ، فهو إهانة لعمل الصليب .
لذلك عجبت لأناس يكرمون الصليب ، ويؤمنون بالمطهر !!
نقول إنه على الصليب ظهر الحب الإلهي « هكذا أحب الله العالم حتى
بذل .. » (يو ٣ : ١٦) .

فكيف يتفق هذا الحب مع عذاب المطهر عن السهوات والهفوات والخطايا
المغفورة !؟

لا شك أن الذين ينادون بالمطهر ، ويفهمون وفاء الإنسان للعدل الإلهي ...

إنما يقدمون للأسف عقيدة جديدة ، وهي المناداة بالخلاص الجزئي !

كما لو كان الخلاص الذى جاء به المسيح ، هو فقط خلاص من وصمة
الخطية ، وليس خلاصاً من عقوبة الخطية !! ... خلاصاً من الخطايا التى قام التائب
بوفاء قصاصها ، وليس خلاصاً من الخطايا التى لم يكمل القصاص عنها !! ... أو
قل كما لو كان المسيح قد قدم خلاصاً عن الخطية الجدية ، ولم يقدم خلاصاً عن
الخطايا الفعلية التى لا بد أن نوفي عنها قصاصاً ، سواء على الأرض أو بعد الموت !!

وهذا الخلاص الجزئي يقف ضده قول القديس بولس الرسول :

« فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام. الذين يتقدمون به إلى الله »
(عب ٧ : ٢٥) .

« يخلص إلى التمام » ... ما أجل هذه العبارة في الرد على المطهر . أى أنه
خلاص تام كامل ، ليست فيه على الإنسان بقية من قصاص ... لقد دفع السيد
المسيح الثمن كاملاً للعدل الإلهي ، وشهد على الصليب قائلاً « قد أكمل » (يو ١٩ :
٣٠) ... إذن ليس هناك نقص نكملة نحن في وفاء العدل الإلهي ...

إن المطهر وعذاباته ، إهانة صريحة لكمال كفارة المسيح !!!

وكان (المعذبين في المطهر) يصرخون إلى السيد المسيح قائلين : أين خلاصك ،
وها نحن نتعذب ؟! أين الثمن الذي دفعته عنا ، وها نحن ندفع الثمن ؟! ما معنى
قولك إذن لله الآب «والعمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» (يو ١٧ :
٤) ... ؟!

إن المطهر هو تناقض صريح مع بشرى الخلاص المفرحة !!

ما معنى أن مجد الرب أضاء ، ووقف ملاك الرب يبشر الرعاة بيلاد المسيح
قائلاً « لا تخافوا ، فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . إنه ولد لكم
اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لوقا : ١ : ٩ - ١١) ... وكأني باخوتنا
الكاثوليك يعاتبون هذا الملاك قائلين :

« ما هو هذا الفرح العظيم الذي تبشرنا به ؟! وكيف لا نخاف ونيران
المطهر وعذاباته تهددنا ، كأن لا خلاص ولا مخلص !!؟ ...

وأين هذا الفرح العظيم الذي يكون لجميع الشعب ، مادامت عذابات المطهر
تنتظره ؟! وهل يستطيع مسيحي أن يهتف مع بولس الرسول قائلاً « لى اشتهاه أن
أنطلق وأكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً » (في ١ : ٢٣) . أم أنه يقول على
العكس : أخاف أن أنطلق من الجسد ، وأكون في المطهر بكل ما فيه من نار وعذاب
وسجن !!

حقاً إن الموت هو رعب بالنسبة إلى المؤمنين بالمطهر ، وضد بشارة الخلاص
المفرحة ...

فليس الجميع في المستوى الروحي الذي لبولس الرسول ، الذي قال « لى اشتهاه
أن أنطلق » . ومن من البشر يمكنه أن يضمن أنه مات وقد وفى عقوبة خطاياہ ؟! ...
لاشك أن الكل يعتمد على الخلاص الذي قدمه المسيح ...

ولكن كيف تتفق كلمة الخلاص مع المطهر ، إلا لو كان خلاصاً
جزئياً ؟! وحاشا أن يكون هذا ، وهو الذي « يخلص إلى التمام » (عب ٧ :

٢٥) .

أهم ما في رسالة المسيح أنه المخلص . وقد سمي يسوع ، «لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (متى ١ : ٢١) . وقد جاء إلى العالم «لكي يخلص ما قد هلك» (متى ١٨ : ١١) . وقد شهد القديس يوحنا الرسول قائلاً «نحن قد نظرنا ونشهد أن الأب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم» (١ يوحنا ٤ : ١٤) . والقديس بطرس الرسول يدعوه «المخلص يسوع المسيح» (٢ بط ١ : ١) (٢ بط ٢ : ٢٠) . والقديس بولس الرسول يدعوه «الرب يسوع المسيح مخلصنا» (تى ١ : ٤) . فما موقفه كمخلص من المطهر؟!

أما يقدر هذا الذي خلص المؤمنين به من «البحيرة المتقدة بالنار والكبريت» (أن يخلصهم أيضاً من هذا المدعو (المطهر)؟! ...

أما يقدر هذا الذي خلص العالم كله من خطايه ، أن يخلص أيضاً من هذه التي تسمى خطايا عرضية ، ومن الخطايا الأخرى التي غفرت ولم تستوف قصاصاً من الكنيسة...؟! وما معنى «يخلص إلى التمام»...؟! وكيف يدعى مخلصاً ، (والذين في المطهر) يدفعون ثمناً لخلاصهم؟!!

إن مفهوم الخلاص في ظل المطهر ، كان عثرة كبيرة لأخوتنا البروتستانت .

حتى أنهم في محبتهم الأطمئنان على خلاص الناس ، صاروا يسألون كل من يتعرفون عليه «هل خلصت يا أخ؟» «هل قبلت المسيح فادياً ومخلصاً» . وأصبح موضوع الخلاص من أهم الموضوعات التي يتكلمون عنها ويكتبون ويسألون . حتى في نسخ الأناجيل التي يوزعها الجددونيون ، يرفقون بها تعهداً بقبول المسيح فادياً ومخلصاً... وهنا أحب أن أسأل في محبة كاملة وفي صراحة :

هل يعتقد أى أخ كاثوليكي أن المسيح قد خلصه ، بينما نارالمطهرتتهدهه حتى لو تاب؟

وذلك لأن نار المطهر ، يدخلها الأبرار محبو الله الذين لهم خطايا عرضية ، وخطايا مميته قد غفرت بالتوبة ولكن لم تستوف قصاصها بعد . ولذلك يقول الأب لويس برسوم في كتابه المطهر صه إن المطهر هو حالة «هى الأغلبية الساحقة من بنى البشر» (سطر ١٣) ... وكما يقول كتاب التعليم المسيحي (الكاتشزم) الذي

يتعلمه أولادنا في المدارس الكاثوليكية تحت رقم ٤١٧ «إن النفس البارة، بعد الدينونة الخاصة، غالباً تدخل المطهر. وهو عذاب أليم، به تفى النفس ما تبقى عليها من عقاب زمنى»...

لاحظوا هنا أن الذى ينال العذاب الأليم هو النفس البارة !

ذلك لأن الأبرار - فى ظل عقيدة المطهر - يتعذبون هم أيضاً كالأشرار!!
والفرق بينهما أن الأبرار عذابهم مؤقت، والأشرار عذابهم دائم...!!

أين الخلاص إذن الذى قدمه المسيح؟! وأين البشارة المفرحة التى يحملها الإنجيل؟! وكيف نطلب من الناس أن يؤمنوا بمخلص للعالم، يسمح أن النفس البارة تكابد عذاباً أليماً فى المطهر، بحجة أن هذه النفس لا بد أن تفى ما تبقى عليها من عقاب زمنى؟! ومن الذى فرض عليها هذا العقاب الزمنى، وحدود هذا العقاب، حتى تعرف ما تبقى عليها؟ أهى الكنيسة!؟

هنا وتعرض أخوتنا البروتستانت للعشرة الثانية من جهة السلطان الكنسى.

هذا السلطان الذى يفرض عقوبات على النفوس التائبة، لا بد أن توفيهما، ولو بعد الموت، بعذاب أليم فى المطهر... وهكذا أنكروا سلطان الكهنوت. ولما رأوا أن هذا السلطان تسنده قوانين كنسية، أنكزوا هذه القوانين أيضاً، وأنكروا معها التقاليد كذلك... وبخاصة لأن عقيدة الكاثوليك فى المطهر، قررها مجمع فلورنس فى القرن الخامس عشر قبل ظهور البروتستانتية بقليل... فلماذا كل هذا يا أخوتى، من الجانبين.

وما هى القصاصات الكنسية التى تفرض على الخطاة؟ إنها أعمال التوبة.

وهنا تعرض أخوتنا البروتستانت للعشرة الثالثة من جهة قيمة الأعمال.

هذه الأعمال التى يؤدى التقصير فيها إلى «عذابات المطهر»...! وهذه الأعمال التى يمكنها أن توفى العدل الإلهى، وتكون ثمناً للخطية...! حقاً إن الأعمال الصالحة لازمة، وأعمال التوبة لازمة، فقد قال الكتاب «اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة» (متى ٣: ٨). ولكنها لا يمكن أن توفى عقوبة العدل الإلهى، ولا يمكن أن يكفر الإنسان بها عن خطاياها.. !

وهكذا فإن المبالغة التي خرجت عن الحد في قيمة الأعمال ، جعلت كثيرين من البروتستانت يتكرون قيمة الأعمال جملة ...

ضد سر التوبة و ضد الكهنوت والمغفرة

المطهر

إن مفعول التوبة كما يشرحه لنا الكتاب المقدس هو :

بالتوبة تمحى الخطية ، ويغفرها الله ، ولا يعود يذكرها ، ولا يحاسب الإنسان عليها ، بل يسامحه ، ويصفح عنه ، ويظهره من خطاياہ .

وكل هذا واضح من آيات عديدة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .

وكل هذا أيضاً ضد عقيدة المطهر . فلنتأمل إذن ما يقوله الكتاب :

١ - فمن جهة محو الخطية ، يقول الكتاب :

(أع ٣ : ١٩) « فتوبوا وارجعوا ، فتمحى خطاياكم » .

(أش ٤٤ : ٢٢) « قد محوت كغيم ذنوبك ، وكسحابة خطاياك » .

(كو ٢ : ١٤) « وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم ، أحياكم

معه ، مساعماً لكم بجميع الخطايا ، إذ مح الصك الذي علينا ... » .

(اش ٤٣ : ٢٥) أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسي ، وخطاياك لا

أذكرها » .

٢ - وهذه الخطايا التي محها الله ، كيف يعود ويفرض عليها عقوبات

وهي قد محيت ، وما عاد يذكرها ؟!

ومن جهة أنه ما عاد يذكرها ، نذكر أيضاً قول الرب :

(ار ٣١ : ٣٤) « لأنى أصفح عن إثمهم ، ولا أذكر خطيتهم بعد » .

(حز ١٨ : ٢١ ، ٢٢) « فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياہ التي فعلها ، وحفظ كل فرائضی ، وفعل حقاً وعدلاً ، فحياة یحيا . لا يموت . كل معاصیه التي فعل لا تذكر علیه . فی بره الذي عمل یحيا .

٣ - وإن كان الله لا يعود يذكر الخطايا التي تاب عنها الإنسان ، فبالتالي لا يعاقب . لأن المعاقبة معناها أن الله لا يزال يذكر هذه الخطايا ، ولم يغفرها بعد ...

٤ - وهو لم يقل فقط أنه لا يذكرها ، بل أيضاً لا يحسبها على التائب :
وهنا نرى المرتل يفرح بهذا الأمر ، ويقول في الزمور :

(مز ٣٢ : ١ ، ٢) « طوبى للذي غفر إثمہ ، وسترت خطيته . طوبى للإنسان الذي لا يحسب الرب له خطية » .

(٢كو ٥ : ١٩) « إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعاً فينا كلمة المصالحة » .

٥ - كيف إذن بعد هذه المصالحة ، يعود فيلقى التائبين في عذابات المطهر؟! وكيف يتفق هذا مع قول الكتاب « غير حاسب لهم خطاياهم »؟!
مادام الله قد غفر ، فإن الأمر يكون قد أنتهى . ولا يحتاج الأمر إلى تطهير ، لأن الله يمزج الأمرين معاً ، إذ يقول :

(ار ٣٣ : ٨) « وأظهرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به إليّ . وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها إليّ » .

٦ - هنا يكون التطهير من أعمال النعمة ، وليس من أعمال العقاب .
ويكون التطهير أثناء الحياة على الأرض ، وليس بعد الموت .
يكون بعمل الروح القدس في التغيير ، وليس بعذاب المطهر .
أنظروا ماذا يقول الرب عن التطهير في سفر اشعياء :

(اش ١ : ١٨) « هلم نتحاجج - يقول الرب - إن كانت خطاياكم كالقرمز ، تبيض كالثلج . وطبعاً هذا يكلم الأحياء على الأرض ، وليست الأرواح بعد الموت .

بل أن داود النبي يقول في المزمور الخمسين « أنضح عليّ بزوفاك فاطهر، وأغسلني فأبيض أكثر من الثلج » (اغسلني كثيراً من إثمى، ومن خطيئتي تطهرني) (مز ٥٠).

وطبعاً التطهير هنا على الأرض ، وليس بعد الموت في المطهر .

وعمل الله في تطهير الإنسان بروحه القدوس ، يبدو في سفر حزقيال في قول الرب :

(حز ٣٦ : ٢٥ - ٢٩) « وأرشد عليكم ماء طاهراً فتطهرون . من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم . وأعطيتكم قلباً جديداً ، واجعل روحاً جديدة في داخلكم . وأنزع قلب الحجر من لحمكم ، وأعطيتكم قلب لحم . وأجعل روحي في داخلكم . واجعلكم تسلكون في فرائضي ، وتحفظون أحكامي وتعملون بها ... وتكونون لي شعباً ، وأنا أكون لكم إلهاً . وأخلصكم من جميع نجاساتكم » .

نعم ، هذا هو التطهير الحقيقي ، بعمل الله فيه ، ونعمته المطهرة المجددة المبررة ، وليس بأسلوب العقاب .

إن الذهب قد تضعه في النار ، فيتطهر وتسقط عنه شوائبه . لأنه معدن لا يحس ولا يشعر . أما الإنسان الذي له روح وعقل ونطق وقلب ومشاعر ، فلا تصلح معه نار تطهره ، إنما يظهره عمل الله ، وسكنى روح الله فيه ، ونعمة الله التي تهب القلب الجديد والروح الجديدة . فيتطهر الإنسان بالتوبة ومحبة الله ونقاوة القلب .

٧ - والتطهير لا يكون بعد الموت ، حيث لا حروب من الجسد ومن المادة ومن العالم ومن الشيطان ، إنما يكون هنا ، حيث توجد الحروب وينتصر الإنسان فيه بقوة من الله .

إن الفكرة التي يقدمها المطهر ليست عملية تطهير ، إنما هي عملية عقاب ومجازاة . ولذلك قيل في هدفها إنها تكفير لا تطهير... ولست أدري كيف سميت

بالمطهر؟ أى تطهير يوجد فى النار والعذابات والعقوبة، التى قد تجعل القلب يتضايق ويتدمر كلما طالّت المدة، ويشك فى محبة الله. فبدلاً من أن يتطهر يزداد إثماً على إثم...

٨ - أيضاً عذابات المطهر لا تتفق مع المغفرة، ولا مع التحليل الذى يسمعه النائب من فم الكاهن.

ما فائدة التحليل، الذى بعد سماعه من المفروض أن يخرج النائب والسلام يملأ قلبه، لأنه قد ألقى عبئاً ثقيلاً من على كاهله، وأنتقلت الخطية منه إلى كتف المسيح ليحملها عوضاً عنه... ولكن بفكرة المطهر، يجد النائب المعترف أنه لم يستفد شيئاً، وأن الخطية لا تزال قائمة ضده، تهدده بمستقبل مرعب فى المطهر. إن عقوبة المطهر بهذا الوضع تعطى شكاً فى تحليل الكاهن وفى سر التوبة.

٩ - إن ضرورة بقاء العقوبة بعد الموت، على الرغم من المغفرة، أمر لا يتفق مع تعليم الكتاب.

وأكبر توضيح لذلك قصة الإبن الضال الذى لما غاد إلى أبيه، أنتقل من الموت إلى الحياة (لوقا ١٥: ٢٤، ٣٢). ولم يلق عقاباً، بل العكس وجد المحبة والقبول والإكرام، والحلة الأولى، والخاتم فى يده... إنها الصورة التى نذكرها عن محبة الله وغفرانه... بعكس عقيدة المطهر التى تعطينا صورة قائمة عن المغفرة التى لا تعفى من العقوبة...

١٠ - إن صورة المطهر، تذكرنا بالعهد القديم، ولعنات الناموس... وكأننا لم ننل بعد خلاص الرب ونعم الفداء. إنها تطالب بضمن الخطية، كأنه لم يُدفع على الصليب. وتجعل العقوبة لا تزال قائمة، كأن الفداء لم يتم بعد. وتسنينا الصلح الذى تم بيننا وبين الله بكفارة إيته.

إن عقيدة المطهر لا تعيش فى العهد الجديد الذى يقول فيه الكتاب إن المسيح «أسلم من أجل خطايانا، وأقيم من أجل تبريرنا» (رو ٤: ٢٥). وأنه «حمل خطايانا فى جسده على الخشبة» (١بط ٢: ٢٤). إنه العهد الجديد الذى يقول لنا:

« الله بين محبته لنا ، لأنه ونحن بعد خطاة ، مات المسيح لأجلنا . فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه ، نخلص به من الغضب . لأنه وإن كنا أعداء ، قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته » (روم : ٨ - ١٠) .

١١ - إن عذاب المطهر لون من الدينونة . ونحن بموت المسيح نجونا من الدينونة .

وهذا الكتاب يقول « لا شيء من الدينونة الآن على الذين في المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » (روم : ٨ : ١) . تقول : هذا للسالكين بالروح . وماذا عن الذين يخطئون خطايا عرضية أو مميته ؟ أقول لك إنها بالتوبة تحي ، بدم المسيح ويبقى أمامهم ذلك الرجاء المفرح « لا شيء من الدينونة » ...

١٢ - إن عقيدة المطهر ضد عقيدة الخلاص المجاني :

هذه التي ذكرها الكتاب صراحة « متبررين مجاناً بنعمته ، بالفداء » (روم : ٢٤) . فإن كان الإنسان يدفع ثمن خطيته : سنوات عذاب يقضيها في المطهر ، حيثذ يكون هو الذي دفع الثمن ، وليس المسيح الذي دفع عنه . ولاهوتياً لا يستطيع هو أن يدفع الثمن ، لأن الثمن الحقيقي هو الموت أى الهلاك . وقد مات المسيح عنا « لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يوح : ١٦) . وأخذنا نحن استحقات هذا الموت مجاناً ... والمطلوب منا هو التوبة ، والسلوك بالروح .

تبقى بعد ذلك العبارة التي تتكرر تقريباً في كل الكتب التي نشرت عن المطهر ، وهي أن ناره لازمة للتطهير . لماذا ؟

١٣ - لأن السماء لا يمكن أن يدخلها شيء دنس أو نجس (رؤ ٢١ : ٢٧) .

هذا حق . ولكن من قال إن التائب دنس أو نجس !؟

إنه بالتوبة أبيض من الثلج . تطهر بالتوبة . طهره الله حسب وعده الصادق : « من كل نجاساتكم ، ومن كل أصنامكم أظهركم ... وأخلصكم من كل نجاساتكم » (حز ٣٦ : ٢٥ ، ٢٩) .

إن داود صار ظاهراً ، ليس بالمطهر ، وإنما بتوبته وبعمل الله فيه ، إذ قال « وتغسلني كثيراً من إثمي ، ومن خطيئتي تطهرني » .

التائبون سيدخلون السماء أظهاراً . يغسلهم المسيح كما غسل أرجل تلاميذه ، وقال لهم : أنتم الآن أظهار... (يوح ١٣ : ١٠) .

١٤ - في فرح الرجاء ، يفرح التائبون إذ قد غفرت لهم خطاياهم ، بل محبت (أع ٣ : ١٩) .

ولكن المتأدين بالمطهر ، يقولون إن التوبة قد محت وصمة الخطية وليست عقوبة الخطية . ولا تزال العقوبة قائمة تؤدي عنها حساباً هنا أو في المطهر!! ... حقاً أقول كما قال داود النبي :

أقع في يد الله ، ولا أقع في يد إنسان . لأن مراحم الله واسعة (صم ٢٤ : ١٤) .

الله يقول : لا أذكرها بعد . لا تحسب عليه . يبيض كالثلج ... أمحوها . أغفرها . اصفح عن آثامهم . اظهرهم من نجاساتهم . لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم (يوح ١٢ : ٤٧) . والإنسان يقول لا بد من العقوبة . وإن لم يوفها على الأرض ، يقضى زمناً غير محدد في المطهر... « كرحمتك يارب ولا كخطايانا » ... وهنا نسأل سؤالاً هاماً ، يحتاج إلى إجابة أهم ، وهو :

هل المسيح على الصليب حمل خطايانا فقط ، أم حمل أيضاً عقوبتها ؟

وإن كان قد حمل العقوبة ، فما لزوم الحديث إذن عن العقوبة في المطهر؟ وإن كانت المغفرة للخطايا فقط دون التنازل عن عقوبتها ، فالويل لنا جميعاً... قد هلكنا!! والجميع إلى بحيرة النار والكبريت . وإن كانت المغفرة ترفع العقوبة ، فلا مطهر إذن .

١٥ - يا أخوتي ، نادوا بالرحمة ، لا بعذابات مطهريّة . فالرب يقول :

« طوبى للرحماء ، فإنهم يرحمون » (متى ٥ : ٧) .

واطمئنوا على العدل الإلهي ، لا تقلقوا عليه !! كلنا نؤمن بالعدل الإلهي ، الذي لا بد أن يقتص من غير المؤمنين ، ومن غير التائبين ، ومن كل السالكين بالجسد والسالكين في الظلمة . أما بالنسبة للمؤمنين التائبين ، فالعدل الإلهي استوفى حقه على الصليب ... « لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (.يو٣ : ١٦) .

هل الخطايا التي يتعذب الناس بسببها في المطهر ، حملها المسيح أم لم يحملها ؟ مات عنها أم لم يموت ؟ دفع ثمنها أم لم يدفع ؟

إن كان المسيح قد دفع ثمنها ، فلا لزوم للمطهر ؟

وإن كان المسيح لم يدفع الثمن ، فلا تكفى لغفرانها نار المطهر ، ولا نار الأبدية كلها .

١٦ - إن الذين ينادون بضرورة وفاء الإنسان للعدل الإلهي ، نضع أمامهم قصة السيد الرب في لقائه مع سمعان الفريسي والمرأة الخاطئة التائبة ، وقوله في مثال المدينين :

« وإذ لم يكن هما ما يوفيان ، ساعهما جميعاً » (لو٧ : ٤٢) .

هذه هي رحمة الله نحو جميع البشر ، وكلهم - كهذين المدينين - لا يستطيعون الوفاء بالعدل الإلهي --- بالتوبة يساعهم جميعاً . ليس لنقص قى عدله ، أو لأن عدله ضاع بسبب رحمته ، حاشا !! وإنما لأن العدل الإلهي قد وفى حقه على الصليب ---

١٧ - أما إن كان لا بد أن ندفع ثمناً للعدل الإلهي بعد موتنا ...

فإننا بصراحة تامة ، نكون قد هدمنا كل عقائد الفداء والكفارة والخللاص بالدم ، وبالتالي نهدم التجسد أيضاً وأهدف منه ...

إن الرب في مثال المدينين ، قد غفر للمديون بخمسائة ، كما للمديون بخمسين (لو٧ : ٤١) ... للمديون بالكثير ، وللمديون بالقليل ... عارفاً تماماً أن كلاً

من هذين « ليسا لهما ما يوفيانه »... لا مقترف (الخطايا الميئة) يستطيع أن يوفى .
ولا صاحب (الخطايا العرضية) يستطيع أن يوفى ... يكفيهما التوبة والسلوك الروحي
وسلامة العقيدة .

المظهر ضد العدل والرحمة

المظهر ضد عدل الله :

يقول أخوتنا الكاثوليك إن المظهر هو لإيفاء العدل الإلهي ، بالعقوبة عن
الخطية . ونحن نرد هنا بأمرين :

١ - العدل الإلهي أستوفى حقه تماماً على الصليب :

وذلك حينما صاح الابن المصلوب قائلاً « قد أكمل » (يو ١٩ : ٣٠) . حينما
دفع ثمن كل خطية ، لكل أحد ، في كل زمن حينما دفع ثمن خطايا الماضي
والحاضر والمستقبل . حينما قدم كفارة غير محدودة ، تكفى لغفرة خطايا العالم كله .

وهنا نسأل أخوتنا الكاثوليك سؤالاً هاماً وخطيراً وهو :

ما مدى كفاية كفارة المسيح ؟ هل كان فيها نقص في إيفاء العدل
الإلهي ، حتى يكملها الإنسان بعذاب في المظهر؟!!

فإن كانت الكفارة التي قدمها المسيح . عنا كافية ووافية ، وكاملة من كل
ناحية ، فما لزوم العذاب لإيفاء العدل الإلهي؟! ألم يكن العدل قد دفع حقه
تماماً ، حينما ظلت النار تشتعل في ذبيحة المحرقة حتى تحولت إلى رماد (لا : ٦ : ٨ -
١٣) وتشم الله منها رائحة الرضى (تك ٨ : ٢١) . وصارت ذبيحة المسيح كمحرقة
« محرقة وقود رائحة سرور للرب » (لا : ١٦ : ٩ ، ١٣ ، ١٧) .

وهنا نسأل السؤال الثاني الخاص بالعدل الإلهي :

٢ - هل يوافق العدل الإلهي أن يستوفى حقه عن الخطية مرتين؟! |

يستوفى العدل الإلهي من المسيح مصلوباً نيابة عن الإنسان ، يستوفيه كاملاً غير منقوص . ثم يعود ليطالب الإنسان بإيفاء العدل عن نفس الخطايا مرة أخرى ، كأن لم تكن ذبيحة المسيح!!؟

من قال إن العدل الإلهي يطالب بثمان؟! ألم يُدفع له الثمن من قبل ، وهكذا قال الرسول «لأنكم أشتريتم بثمان» (١كو٦ : ٢٠) . فهل من العدل أن يستوفى الله الثمن مرتين؟! ... ثم نحب أن نسأل أيضاً :

٣ - ما هو هذا الثمن الذي يطالب به العدل الإلهي ؟ ومن الذي قرره؟
إنى لا أجد له إشارة في الكتاب اطلاقاً!...

أخوتنا الكاثوليك يتحدثون عن خطايا قد غفرت ، ولم تستوف قصاصها بعد... فما هو هذا القصاص ؟ ومن الذي وضعه ؟ ومن قال إن الله يطالب بقصاص بعد المغفرة؟! أم هي قصاصات وضعتها الكنيسة ؟ ومات التائب قبل أن يوفيها؟! فتفترض الكنيسة وجود مطهر توفى فيه هذه القصاصات ...

إن كانت القصاصات صادرة من الكنيسة ، وإنها كذلك ... فالكنيسة التي لها سلطان الربط ، لها في نفس الوقت سلطان الحل (متى ١٨ : ١٨) .

وهنا لا يكون الأمر خاصاً بالعدل الإلهي ، وإنما بالعدل الكنسي ... بولس الرسول فرض عقوبة على خاطيء كورنثوس (١كو٥ : ٥) . فلما تاب هذا الخاطيء ، رفع عنه الرسول القديس عقوبته . وبعد أن كان يقول لأهل كورنثوس «اعزلوا الخبيث من بينكم» (١كو٥ : ١٣) . عاد يقول لهم في رسالته الثانية «مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذي من الأكثرين ، حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالخرى وتعزونه ، لئلا يُبتلع مثل هذا من الحزن المفرط» (٢كو٢ : ٦ ، ٧) .

لقد فعل هذا مع خاطيء ليس فقط له خطية مميتة ، بل أقول مميتة جداً ، لدرجة أن الرسول وبخ الشعب كله بسببها .

ولم تُفرض على خاطيء كورنثوس سنوات في المطهر. ولم يحدد لعقوبته زمان معين. وإنما رجع الرسول في عقوبته بسبب عمق التوبة، ولأنها أتت بنتيجتها الروحية. فالقصاصات الكنسية لون من العلاج أكثر من أن يكون عقوبة وقصاصاً.

إنه قصاص يدخل في التدبير الروحي، وليس وفاء للعدل الإلهي ...

فالعدل الإلهي يقول إن «أجرة الخطية هي موت» (رو ٦ : ٢٣). والعدل الإلهي يقول إن هذا الموت قد أستوفى على الصليب. ولكن لا يستحقه سوى المؤمنين التائبين. ولهذا يقول «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» (لو ١٣ : ٣، ٥).

والعدل الإلهي يقول إن الخطية تمحى بالتوبة.

وهكذا يقول الكتاب «توبوا وارجعوا فتمحى خطاياكم» (أع ٣ : ١٩).

طبعاً تمحى بأن تنقل إلى حساب المسيح، كما قال ناثان النبي لداود «الرب نقل عنك خطيتك، لا تموت» (٢صم ١٠ : ١٣). وحينما تنقل خطية المؤمن التائب إلى حساب المسيح، حينئذ يمحوها بدمه الكريم.

٤ - فهل من العدل المطالبة بثمان خطيئة قد محيت ؟

أليس المطالبة بدفع ثمنها في المطهر بعد محوها بالدم، هو أمر ضد العدل الإلهي ؟!

قلنا إن الكنيسة هي التي قررت تلك العقوبات، وهي تستطيع أن ترفعها. ولا يكون هذا ضد العدل في شيء. لأنها كانت للعلاج، ولا علاج بعد الموت ... وهنا أحب أن أسجل حقيقة هامة. وهي :

حسبما ورد في قوانين الكنيسة، كل العقوبات الكنسية تنتهي عند الموت، أو عند الأشراف على الموت. ولا توجد عقوبة كنسية بعد الموت !!

وحتى حينما كانت الكنيسة تمنع إنساناً لمدة معينة من سر الإفخارستيا، بسبب خطيئة قد أرتكبها، كان إذا اشرف على الموت، ترجع الكنيسة عن عقوبتها،

وتمنحه السر المقدس... يقيناً لا توجد عقوبة تستمر حتى الموت، فكم بالأولى لو كانت تستمر بعد الموت، حتى بعد مغفرتها!! وهنا نسأل:

٥ - هل من العدل الإلهي أن تستمر العقوبة بعد المغفرة، إلى ما بعد الموت!؟

هنا ويتعرض أختوتنا الكاثوليك لموضوع (العقاب الزمني). ويقولون إن الله عاقب داود بعد المغفرة مرتين عقاباً زمنياً: إحداهما بعد خطية الزنا والقتل (٢صم ١٠). والثانية بعد عدّ الشعب (٢صم ٢٤: ١٠-١٧).

نقول، وقد عاقب الله سليمان بشق المملكة، وعاقب موسى بعدم دخول أرض الموعد، وعاقب آدم وحواء، وعاقب شمشون، ولكن...

ولكن كل هذه كانت عقوبات أرضية. ولم يحكم على أحد من هؤلاء بعذاب بعد الموت...

وكلها عقوبات لا علاقة لها إطلاقاً بموضوع المطهر...

حتى موسى الذى فرض عليه الله عقوبة أن لا يدخل أرض الموعد، عاد بعد الموت فدخلها، حينما ظهر مع السيد المسيح على جبل التجلى (مر ٩: ٤). كما أن هذه العقوبة لا علاقة لها بالمطهر، ولا بعذاب بعد الموت...

هاتوا لى مثلاً واحداً من الكتاب عن شخص بار، تعذب بعد الموت لكى يتطهر من خطايا...!! مثلاً واحداً لا غير...

نقطة أخرى أذكرها فى علاقة المطهر بالعدل الإلهي، وهى:

٦ - هل من العدل الإلهي أن تعاقب الروح دون الجسد!؟

بينما قد يكون الجسد أكثر خطأ وأكثر مسئولية، أو قد يكون هو الذى أحدر الروح عن مستواها بسبب شهواته. والقديس بولس الرسول نفسه يقول «أسلكوا بالروح، فلا تكملوا شهوة الجسد. لأن الجسد يشتهى ضد الروح، والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غل ٥: ١٦، ١٧).

فهل من العدل أن الروح التي كانت تقاوم الجسد في شهواته، هي التي تذهب وبعدها إلى عذابات المطهر بعد الموت، ولا يتعذب الجسد، لا حسيّاً ولا معنويّاً؟!

أم أن العدل يقتضى أن الجسد والروح، اللذين اشتركا معاً في غالبية الخطايا، هما يعاقبان معاً، أو يتطهران معاً... وهذا لا يحدث إلا إذا عادا وأتخذا معاً في القيامة. وفي تلك الحالة لا يكون هناك تطهير، وإنما ثواب دائم أو عقاب دائم. وفي ذلك يقول الكتاب «تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوه: ٥: ٢٨، ٢٩).

أى أنه إذا كانت هناك عقوبة، تكون للأثنين معاً، بعد القيامة، حسب قول الرب... على أن هذا الأمر سنبجته بالتفصيل في حديثنا عن الدينونة العامة...

هنا وأعرض إلى نقطة أخرى خاصة بالعدل الإلهي، فأقول:

٧ - هل من العدل الإلهي أن يعاقب على السهوات والهفوات، وخطايا الجهل والخطايا غير الإرادية، وباقي (الخطايا العرضية) بعذابات في المطهر تشبه عذابات جهنم؟!

فهكذا تحدثت الكتب الكاثوليكية التي بين أيدينا، والتي تعطى هذه الصورة البشعة عن معاملات الله للناس...!

بينما يقول المرتل للرب في المزمور «لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لا يتزكى قدامك أى حتى» (.مز١٤٣: ٢). ويقول أيضاً «إن كنت للآثام راصداً يارب، يارب من يثبت؟! لأن من عندك المغفرة» (مز١٣٠: ٣).

هل من العدل أن يعاقب الله طبيعتنا البشرية الضعيفة بهذه المعاملة، حتى في عصر النعمة؟!

وهوذا المرتل - في العهد القديم - يقول في المزمور عن الرب «لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا. لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض،

قويت رحمته على خائفيه . كبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عنا معاصينا . كما يتزأف الأب على البنين ، يتزأف الرب على خائفيه . لأنه يعرف جبلتنا ، يذكر أننا تراب نحن ..» (مز ١٠٣ : ١٠ - ١٤) .

نعم إن عدل الله يذكر أننا تراب نحن . يعاملنا حسب ضعف طبيعتنا ، وحسب شدة الحروب الموجهة إلينا من الشيطان ...

ولذلك فإن الكنيسة المقدسة في صلواتها عن المنتقلين ، تقدم عنهم دفاعاً أمام العدل الإلهي فتقول « إذ لبسوا جسداً ، وسكنوا في هذا العالم » وتقول أيضاً : « لأنه ليس إنسان بلا خطية ، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض » . فكيف إذن من أجل السهوات يتعذب إنسان في نار المطهر؟! هوذا المرتل يقول للرب « السهوات من يشعر بها؟! من الخطايا المستترة ابرئني » (مز ١٩ : ١٢) .

لو كان المطهر بديلاً للقصاصات الكنسية التي لم توف ، لا يكون هذا عدلاً . لأن عذابات المطهر، أقسى بكثير من العقوبات الكنسية :

لتفرض مثلاً أن شخصاً أخطأ وتاب . وفرضت عليه الكنيسة بعض عقوبات : مثل الحرمان من تناول فترة معينة ، أو الصوم عدة أيام ، أو عدداً من المطانيات (السجدات) ، أو ما أشبه ... ومات هذا الإنسان قبل أن يوفى هذه العقوبات ... هل من العدل أن يوفى بدلها عذابات في المطهر . يقول أحد الآباء الكاثوليك إنها تشبه العذابات الجهنمية؟! إلى جوار « نار الخسران » أى فقدان عشرة الله وملائكته وقديسيه ...

هل هذا عدل ؟ أن يكابد النائب البار عقوبة مرعبة ، بدلاً من عقوبة كنسية علاجية محتملة ؟

هل يجوز أن يقول لك شخص « إما أن تدفع الخمسة قروش التي أنت مدين بها ، أو أن تجلد مائة جلدة لوفاء هذا الدين »؟!

هذا لو كان هناك دين يجب وفاؤه ... أما حنان المسيح فيقول عن سمعان

الفريسي والمرأة الخاطئة «وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، ساعهما جميعاً» (لوقا: ٤٢).

إن كان كل هذا يقال في موضوع المطهر عن الإلتجاء إلى عدل الله، فماذا نقول إذن عن الرحمة والحب؟!

إن محبة الله التي جعلته يبذل ابنه الوحيد من أجل خلاصنا، هل محبته هذه تسمح بعذابات مطهريّة من أجل خطايا عرضية، أو بسبب (خطايا مميتة) قد تاب إنسان عنها، وغفرت له... أين الرحمة هنا؟! تقول «هنا العدل». أقول لك: لا تتعب ضميرك من جهة العدل، فقد أستوفى حقه بالفداء على الصليب...

المطهر ضدّ وعود الله

كيف يقول الله عن خطايانا التي تبنا عنها: لا أذكرها. لا تحسب عليه. لا يحسب لهم الرب خطية. تمحى. تبيض كالثلج. اطهرهم. أغفر كل ذنوبهم. ثم يعود بعد ذلك لكي يطالبنا بهذه الخطايا، التي قال إنه لا يعود يذكرها، ويطالبنا بعقوبة لها، فيها عذاب...؟!

[أنظر وعود الله في (أع ٣: ١٩) (اش ١: ١٨) (اش ٤٤: ٢٢) (اش ٤٣: ٢٥) (مز ٣٢: ١، ٢) (أر ٣١: ٣٤) (أر ٣٣: ٨)].

وماذا عن وعود الله بالمغفرة، والصفح، والمصالحة (٢ كوه: ٢١)، والمساحة، ومحو الصك الذي علينا (كوه: ٢٠). وإنه كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا (مز ١٠٣: ٣)؟!

إننا نعلم أن الله أمين في مواعيده، حسب قول الكتاب «لأن الذي وعد هو أمين» (عب ١٠: ٢٣). ويقول الرسول في ذلك:

« إن أترفنا بخطايانا ، فهو أمين وعادل ، حتى يفر لنا خطايانا ،
ويطهرنا من كل إثم » (١٥١ : ٩) .

إذن تطهير الله لنا من خطايانا ، أمر يتفق مع أمانته وعدله . ويقول القديس
بولس الرسول « أمين الذى يدعوكم ، الذى سيفعل أيضاً » (١ تس ٥ : ٢٤) . إننا
نفرح جداً ، ونحيا فى رجاء ، حينما نعتد على صدق الله فى مواعيده . بل نطمئن
بالأكثر حينما نسمع قول الرسول :

« إن كنا غير أمناء ، فهو يبقى أميناً ، لن يقدر أن ينكر نفسه »
(٢ تي ٢ : ١٣) .

حقاً ، صادقة هذه الكلمة ، ومستحقة لكل قبول ... فلنعتد إذن على صدق
الله فى مواعيده ، ولا نسمح أن يشككنا فيها أحد .

وعود الله أمينة لا رجعة فيها . فإن تاب إنسان وغفر له الله ، لا يعود يعيره
بخطاياه ، أو يعاقبه عليها ، أو يقول له : باقى عليك حساب يجب أن توفيه . بل يقول
« لا يحسب له الرب خطية » (مز ٣٢ : ٢) ، والذى غسله الله من خطاياه ، كما
قيل « الذى أحبنا ، وقد غسلنا من خطايانا بدمه » (رؤ ١ : ٥) ، هذا لم تعد عليه
خطية بعد ، بل صار أبيض من الثلج (مز ٥٠) . وهنا يبدو جمال التوبة ، وجمال
المغفرة ...

أما المطهر فهو ضد وعود الله . وهو صورة قائمة قائمة ، عن المغفرة ، وعن محبة الله
ورحمته ، وصدق مواعيده .

أيضاً الشخص الذى اصطاح مع الله (٢ كو ٥ : ١٨) لا يعود الرب يكسر
صلحه معه ويحاسبه على شىء تنازل الله عنه فى صلحه .

هل معقول أن شخصاً تصطاح معه ، ثم ترجع إلى بيتك ، فتجده قد أرسل
الشرطة لقيادتك إلى السجن؟! صدقونى ولا مع العلمانيين ، أهل العالم ، يحدث
مثل هذا الأمر .

بل على العكس : الله فى مغفرته ، يبعد عنا خطايانا ، كبعد المشرق عن
المغرب (مز ١٠٣) .

فإن أراد الرب معاقبتك على خطية في المطهر ، تقول له : ما هذا
يارب؟! ألم تقل لا أعود أذكرها؟! وما دمت قد نقلتها إلى حساب المسيح ،
فلماذا تحاسبني أنا؟! هل عملية النقل لم تتم؟!!

يقول بعض الكاثوليك إن وعود الله خاصة بوصمة الخطية ، وليست خاصة
بعقوبة الخطية!! ونحن نسأل من أين جاء هذا التفسير؟! ما دليله الكتابي؟ ما
تفسيره اللاهوتي؟

ما معنى أن يعقد الله معك مصالحة ، قوامها أن يغفر ، ولا يحسب لك
خطية ، ثم يطالبك بعدها بثمن الخطية التي وعد أنه لا يحسبها عليك ، بل لا
يذكرها؟! المطالبة بثمنها معناه أنه عاد يذكرها...!

مثل شخص يعقد معك صلحاً ، ويتعهد أنه لا يطالبك بدين . ثم ترجع إلى
بيتك ، فتجد أنه ارسل لك شرطياً يقودك إلى السجن بسبب هذا الدين!!

هل معاملات الله مع الناس من هذا النوع؟! حاشا ...

الفصل الثالث :

نصوص كتابية
وتفسيرها السليم

يَخْلَصُ كَمَا بَنَار

(١ كو ٣: ١٥)

هذه الآية من أهم الآيات الكتابية التي يعتمد عليها الكاثوليك، في محاولة لإثبات المطهر، ولذلك سنوليها اهتماماً خاصاً يناسب تركيزهم عليها. وقبل كل شيء أحب أن أقول:

(١) هذه الآية ذكرت في أثناء الحديث عن الخدمة والخدام، وليس في مجال الحديث عن الدينونة والعقاب. ولهذا الأمر أهميته:

ومن أجل هذا، ولكي لا نفصل الآية عن المناسبة التي قيلت فيها، نقول إن بولس كان يتكلم عن خدمته هو وأبولوس، وأن الواحد منهما غرس والآخر سقى، ولكن الله كان ينمي. وإن كل واحد سيأخذ أجرته حسب تعب. مشبهاً الخدمة بعمل الفلاحة قائلاً «نحن عاملان مع الله، وأنتم فلاحه الله، بناء الله (١ كو ٣: ٥-٩).

ثم أنتقل في تشبيه الخدمة بالبناء «أنتم بناء الله» إلى قوله «حسب النعمة المعطاة لي - كبناء حكيم - وضعت أساساً، وآخر بيني عليه. ولكن فلينتظر كل واحد كيف ينمي عليه. فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً غير الذي وضع، الذي هو يسوع المسيح» (١ كو ١٠، ١١).

(٢) هنا بولس الرسول كبناء حكيم، كخدام يعرف أصول الخدمة، أو كما نقول إحدى الترجمات، كاستاذ أو معلم حكيم في البناء as a wise master builder وضع الأساس الذي هو الإيمان بالمسيح، وسيترك البناء لباقي الخدام، لباقي البنائين، ويرى كيف ينون عليه.

ولذلك يقول في رسالته لأهل كورنثوس « إن كان لكم ربات من المرشدين في المسيح ، لكن ليس آباء كثيرون ، لأنى أنا ولدتكم في المسيح » (١ كور٤ : ١٥) .
أنا ولدتكم ووضعت الأساس الذى هو الإيمان . وبقي الأمر متروكاً لهؤلاء المرشدين الكثيرين كيف سيبنون عليه : ذهباً وفضة ... أم عشباً وقشاً . وكل واحد من هؤلاء المرشدين له طريقته .

بولس بشر أهل كورنثوس ، ولكنه سوف لا يبقى في كورنثوس باقى حياته ، لأن له خدمة واسعة في أماكن متعددة . يكفى أنه وضع الأساس ، وسيتترك باقى الخدام يبنون عليه .

كما قال أيضاً عن تشبيه الكرازة بعمل الفلاحة « أنا غرست ، وأبولس سقى » (٦ع) . غرست ، أى وضعت الأساس . وأبولس سقى ، أى بدأ العناية بهذا الشيء المغروس . فما الذى حدث بعد هذا ؟ حدث أنقسام يهدد العمل كله . وقال البعض أنا لبولس وآخر أنا لأبولس (٣ع ، ٤) . فما الذى سيحدث في البناء فيما بعد ؟ ما مصير العمل الكرازى ؟ يقول :

« ولكن إن كان أحد يبنى على هذا الأساس ذهباً فضة حجارة كريمة ، خشباً عشباً قشاً ، فعمل كل واحد سيصير ظاهراً ، لأن اليوم سيبينه . لأنه بنار يستعلن . وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو . إن بقى عمل أحد قد بناه ، فسيأخذ أجره . إن احترق عمل أحد ، فسيخسر . أما هو فسيخلص ، ولكن كما بنار » (١ كور٣ : ١٢ - ١٥) .

(٣) نلاحظ هنا أنه يتكلم عن العمل ، وليس عن الأشخاص .

وهو يتكلم عن خدمة الخدام وليس عن عامة الناس ...

إنه يكلم الخدام ، المبشرين ، الوعاظ ، الرعاة ، المعلمين ، خدام الكلمة ، وليس كل أحد ... هؤلاء الذين يبنون الملكوت ، ويقومون بالعمل الكرازى ، كيف سيبنون . وهل عملهم سيبقى أم يحترق . وما الذى سوف يضعونه على أساس الإيمان : هل سيضعون ذهباً فضة حجارة كريمة ، من الأمور التى تبقى ولكنها تتنوع في مدى قيمتها ؟ أم سيضعون خشباً عشباً قشاً ، من الأمور التى تحترق ، ولكنها

أيضاً تتنوع في سرعة احتراقها. والبعض يمكن أنقاذه إذا تداركوا الأمر بسرعة،
والبعض من الصعب أنقاذه كالكش...

بولس الرسول تهمة الخدمة ، يهمة العمل ، وعن هذا يتحدث :

فيقول عمل كل واحد سيصير ظاهراً ، لأن اليوم سيبين هذا العمل . هذا
العمل سوف يستعلن بنار . وستمتحن النار عمل كل واحد . هل يبقى العمل ، أم
أن العمل يحترق .

إذن النار هنا للعمل ، وليس للأشخاص .

فكلامه صريح « ستمتحن النار عمل كل واحد » ... لكي تبيته : هل هو ،
ذهب ، فضة ، حجر كريم ، أم هو خشب ، عشب ، قش ... لم يقل إن الأشخاص
سيحترقون بنار ، إنما قال إن عملهم سيحترق .

(٤) الذي سيجوز في النار هو العمل ، وليس الشخص :

ليس الخادم ، إنما خدمته ، من أي نوع هي ؟ هل ستبقى أم تحترق ؟ وعلينا
أن نضرب أمثلة للأعمال التي تحترق ، والأعمال التي تبقى . الخدمة التي لها ثمر
في الكنيسة ، والتي لا ثمر لها ...

(٥) فالعمل الذي يشبه الذهب والفضة والحجر الكريم هو عمل من
يخدم بطريقة روحية عميقة لبناء النفوس :

بحيث يكون الهدف الوحيد هو الله وملكوته . بأسلوب روحى مقنع ومؤثر ،
يجذب النفوس إلى الله ، مع جهد وتعب في التربية الروحية ، وحل كل المشاكل
التي تصادف المجاهدين في طريقهم ، ومعرفة الحروب الروحية وطريقة الانتصار
عليها . وحث الناس على الثبات ، وتشجيعهم وتقويتهم والصلاة من أجلهم .
كالرعاة والمرشدين الذين قال عنهم الرسول « اطيعوا مرشديكم وأخضعوا ، لأنهم
يسهرون لأجل نفوسكم ، كأنهم سوف يطلون حساباً ... » (عب ١٣ : ١٧) . وكما
قال الرسول عن نفسه « في تعب وكد ، في أسفار مراراً كثيرة ، في جوع وعطش ،
في أصوام مراراً كثيرة ، في برد وعرى ، عدا ما هو دون ذلك ، التراكم على كل

يوم ، الأهتمام بجميع الكنائس . من يضعف وأنا لا أضعف . من يعثر وأنا لا أتهد . «لم أفتر عن أن أذّر بدموع كل أحد» «لست أحتسب لشيء ، ولا نفسى ثمينة عندى ، حتى أتم بفرح سعىي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع ، لأشهد ببشارة نعمة الله» (أع ٢٠ : ٣١ ، ٢٤) .

هذا هو البناء الذهب الذى لا يتزعزع . هذا هو العمل الروحى القوى الذى لا يحترق .

لأنه تعليم بطريقة جادة روحية باذلة من أجل خلاص النفس وربطها في ثبات بالله . إنه بناء وطيد . يسقط المطر ، وتجيء الأنهار ، وتهب الرياح ، وتقع على هذا البناء فلا يسقط . تمتحن النار هذا العمل ، فلا يحترق . إنه كالذهب لا تحرقه النار ، بل تزيده توهجاً ولمعاناً ... إنه عمل يبقى . يبقى في النفوس ، ويبقى إلى اليوم الأخير . والخادم الذى يأخذ أجرته ، ويأخذها حسب نعبه (١كو٣ : ١٤ ، ٨) .

والنار هنا ربما تكون التجارب أو الاختبارات الروحىة أو الحروب أو الضيقات ...

التي يتعرض لها كل عمل روحى ، أو تتعرض لها الكنيسة كلها ، فيظهر من فيها هو الذهب ، ومن فيها هو القش . من يثبت ، ومن لا يثبت . من يحترق بسرعة كالقش ، ومن يحترق ببطء كالخشب ، ومن لا يحترق على الإطلاق كالذهب والأحجار الكريمة .

فإذا أخذت النار للاختبار ، فإن كلمة اليوم تعنى اليوم الذى يحل فيه امتحان هذا التعليم الذى علم به الخادم ومدى ثباته في أنفسي سامعيه . أما إذا كان المقصود باليوم الأخير (١كو٤ : ٥) ، فتكون النار هي نار العدل الإلهي ، الذى «سينير خفايا الظلام ، ويظهر آراء القلوب» .. إنها نار أخرى ... فكلمة نار لها معانٍ عديدة ، ورموز عديدة في الكتاب ...

قلنا إن هناك من يخدم بأسلوب روحى عميق . ولكن ليس الجميع يخدمون كذلك ...

(٦) فهناك من يخدم بأسلوب تطفئ فيه المعرفة لا الروح ، كما لو كان يخرج علماء لا عابدين ...

كما لو كان يعدّ تلاميذه ليكونوا دوائر معارف ، لا أن يكونوا اشخاصاً روحيين . يعطيهم علماً دينياً لا تدايب روحية فيه . يخلط الدين بالفلسفة ، ويحول إلى مجرد فكر . لا فرق عنده بين تدريس رحلات بولس الرسول ، وبين اكتشافات كولومبس ، أو حروب نابليون... كلها فروع من المعرفة .

وهذا الأسلوب تحاشاه القديس بولس الرسول تماماً ...

وقال « وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة ، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة... وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة . لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس ، بل بقوة الله » (لا بحكمة كلام لثلا يتعطل صليب المسيح) « (١كو٢ : ١ ، ٤) (١كو١ : ١٧) .

(٧) هذا العمل الكرازي الذي هو بالفلسفة وحكمة الناس ، يمكن أن يحترق . وكذلك الذي هدفه الفصاحة والبلاغة وتنميق الألفاظ والسجع وموسيقى العبارات .

كلها خدمة قد تعجب البعض ، وقد تبهتهم الفصاحة ، أو السجع ، أو المنطق والعقل . وربما في نفس الوقت لا تترك أثراً روحياً في نفوسهم . قد تستبقى ألفاظاً مأثورة في ذاكرتهم ، ولكنها لا تحدث تغييراً في حياتهم . وإذا صادفتهم نار التجارب والامتحانات الروحية ، لا يثبتون أمامها . ويجد الخادم أو المعلم أو الراعي أن عمله قد أحترق .

وإن أحترق عمله يخسر (١كو٣ : ١٥) ، يخسر تعبته ويخسر مخدوميه ، ويخسر مكافأته وجهده وتعليمه ، وكرازته وخدمته ، إذ لم تأت بثمر روحي ... ولكنه يخلص كما بنار...

(٨) وبنفس الوضع نتحدث عن تحول خدمته إلى مجرد أنشطة ، وعمل كثير ، وأهتمام بأمر كثيرة ، وموضوعات جانبية عديدة ، دون التركيز على

العمل الروحي. وهكذا يحترق عمله كخادم. ولكنه من أجل تعبه وغيرته،
ونيته الطيبة، يخلص كما بنار...

٩ - يخلص كما بنار

أى يخلص بصعوبة بجهد ، كمن يمر في نار وينتشله الله منها قبل أن يحترق .
عمله قد أحترق ولكن الله - من فرط رأفته- لم يسمح أن هذا الخادم نفسه يحترق ،
متذكراً تعبه وجهده ورغبته في خلاص الناس . غير أن اسلوبه في الخدمة لم يكن
سليماً ...

(١٠) والنار هنا ليست نار مطهر . لأنه لم يقل يخلص في نار ، أوفى النار،
وإنما كما بنار...

فالنار هنا لم تكن له ، وإنما كانت لعمله . كما قال الرسول « ستمتحن النار
عمل كل واحد ما هو » (ع ١٣) . وقد أمتحتت النار عمله فوجدته خشباً أو عشباً
أو قشاً . وكان ممكناً أن يهلك هو أيضاً ، لأنه لم يخدم بطريقة سليمة ، ولأن كلامه
لم يكن « روحاً وحياة » (يو ٦ : ٦٣) . ولكنه خلس ، بصعوبة ... « كما بنار » .
ولم يقل خلس في النار .

(١١) كلمة (نار) هنا استخدمت بطريقة مجازية ، وليست حرفية .

ولنا مثال عن شخص « خلس كما بنار » هو يهوشع الكاهن :

قال زكريا النبي « وأراني يهوشع الكاهن العظيم قائماً قدام ملاك الرب ،
والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه . فقال الرب للشيطان : لينتهرك الرب يا شيطان ،
لينتهرك الرب الذى أختار أورشليم أفليس هذا شعلة منتشلة من النار؟! »
(زك ٣ : ١ ، ٢) .

فما معنى عبارة « شعلة منتشلة من النار » !؟

معناها مثلاً : أفترض أن قطعة خشب وقعت في النار ، واشتعلت النار . ولكن رحمة الله تدخلت ، وأنتشلتها - وهي مشتعلة- من النار، قبل أن تحترق، ومنحتها حياة... هكذا كان يهوشع الكاهن ، وهو لابس ثياباً قذرة أمام الملاك . فترعوا عنه الثياب القذرة ، وألبسوه ثياباً مزخرقة وعمامة طاهرة .

ولم تكن النار التي أنتشل منها يهوشع ، ناراً مطهّرة . إذ كان حياً على الأرض ولم يموت بعد . ولكنها الإثم الذي تعرض له ، أو تعرضت له الأمة كلها ممثلة في شخصه (زك ٣ : ٤ ، ٩) .

وبنفس المعنى نفهم عبارة « يخلص كما بنار » أو عبارة « يخلص كمن يمر في نار » ... لا فرق . والمعنى أنه يخلص بصعوبة ، لأنه قصر في تعليم الشعب ، فاحترق عمله الكرازي والرعوى ...

١٢ - وعبارة « يخلص كما بنار » تذكرنا في معناها بقول القديس بطرس الرسول « إن كان البار بالجهد يخلص ... » (١ بط ٤ : ١٨) .

وطبعاً عبارة « يخلص » هنا ، لها عبارة مقدّرة ، أي يخلص إذا تاب ... إذا أسحق قلبه بسبب ضياع خدمته وتعبه ، وندم على أنه خدم بأسلوب خاطيء ...

* * *

١٣- وهناك آية وردت في رسالة القديس يهوذا الرسول ، تشبه تماماً ما حدث ليهوشع الكاهن ، وتفسر أيضاً معنى « يخلص كما بنار » ... قال :

« ارحموا البعض مميزين . وخلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار » (يه ٢٢ ، ٢٣) .

فكل إنسان محاط بالإثم ، أو معرض للضياع والملاك ، يكون محتاجاً إلى من يختطفه من هذه النار، إذ هو عاجز أن يخرج منها بمفرده . وكذلك الخدام والرعاة ، هم أيضاً معرضون للضياع والملاك بسبب المسئولية الملقاة عليهم في خلاص النفوس وبناء الملكوت . وبعضهم يخلص بصعوبة ، بسبب ضعفات الخدمة ، وأخطاء الخدمة ، وعثرات الخدمة . ولكن الله يخلص مثل هذا الخادم - كما بنار- من أجل إيمانه وتعبه وغيرته ، حتى إن فشلت خدمته ...

ليس المطهر

هذا الإقتباس الذى أستدل به أخوتنا الكاثوليك من (١كو٣)، ليس هو عن المطهر إطلاقاً. وما كان بولس يتحدث عن المطهر، وإنما عن الخدمة... وقد شرحنا هذا الأمر بالتفصيل.

نضيف هنا بضعة أدبيات للدلالة على أن حديث الرسول لا يمكن أن ينطبق على مفهوم المطهر عند الكاثوليك.

(١٤) هنا الكل يتعرض للنار، بينما المطهر لنوعية من الناس!

النار هنا يتعرض لها الذهب، كما يتعرض لها القش. وتعرض لها الأحجار الكريمة، كما يتعرض لها العشب. وهذا ضد المعتقد الكاثوليكي في المطهر. فلو طبقنا المثل حسب تفسيرهم، فإن الذهب يرمز إلى القديسين الكبار الذين يذهبون توأ إلى الفردوس، ولا يمكن ان يبروا على نار المطهر! بل لهم (زوائد) تصلح لإعانة الذين في المطهر!! وكذلك الفضة والأحجار الكريمة...

(١٥) هنا النار للامتحان، وليست للتعذيب كمنار المطهر. لاختبار العمل، وليس لتعذيب الشخص...

إذ يقول الرسول « وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو » (ع ١٣) لبيان معدن العمل... تعلقه، وتبينه. بينما نار المطهر - حسب المعتقد الكاثوليكي - هي للعقوبة، وللتكفير عن الذنب، وإيفاء العدل الإلهي...! وكل هذه أمور لا علاقة لها إطلاقاً بهذا الإمتحان أو الاختبار الذى يذكره الرسول...

(١٦) والنار هنا تحرق البعض وتبيده، بينما نار المطهر المفروض فيها أنها تطهر...!

النار في هذا المثل تحرق القش والعشب والخشب... بينما المفروض في نار المطهر أنها تطهر الإنسان وتنقيه، وتعدده حياة أفضل بالدخول إلى الفردوس، لا أن

تحرقة وتبيده...! وواضح جداً أن المثل هنا لا ينطبق ، لأنه لا يؤدي إلى الغاية المرجوة من المطهر.

فالقش لا يمكن أن يتطهر ويتحول إلى ذهب أو فضة . والعشب لا يمكن أن يتطهر ثم يدخل إلى الملكوت ... هنا كما نرى صورة غير المطهر تماماً . الناس الذين كالذهب والفضة والحجارة الكريمة ، لا يحتاجون إلى تطهير . والذين كالخشب والعشب والقش لا يتطهرون ويدخلون الملكوت ، بل يحترقون ...

(١٧) هنا النار للخسارة بالنسبة إلى الخشب والعشب والقش ، بعكس النار في المطهر!

يقول الرسول « إن أحترق عمل أحد ، فسيخسر » («ع ١٥» . وفي المطهر لا حريق ولا خسارة -حسب المعتقد الكاثوليكي- وإنما سداد لديون، وإعداد لأبدية سعيدة، وإعانة من الكنيسة ومن صلوات القديسين، وانتفاع بالذبيحة التي تقدم عن تلك النفوس ... أين الحريق والخسارة .

(١٨) نار المطهر لها تأثير واحد ، بعكس النار في هذا المثل .

النار هنا : تأثيرها على الذهب ، غير تأثيرها على القش ، وعلى باقى ما تعرض لها ... تحرق القش ولا تحرق الذهب . أما نار المطهر، فعملها واحد في كل النفوس ، حسب اعتقاد أختوتنا الكاثوليك . إذن المثل لا ينطبق . لأنه هنا يوجد عمل يبقى في النار، ويأخذ صاحبه أجره أى مكافأة . بينما عمل آخر يحترق ، وصاحبه يخسر...

(١٩) لا يجوز يا أختوتى أن نأخذ عبارة قيلت في مناسبة ، فنفصلها عن هذه المناسبة ، وعن كل ما قيل قبلها من كلام ، ونفرض عليها معنى من عندياتنا لا تحتمله .

وإذا وقفت أمامنا كلمة (نار) لابد أن نفحص ما المقصود بها : هل هي نار الاختبار والامتحان ، كما في (١ كو٣ : ١٣) ؟ أم هي نار التعذيب كالبحيرة المتقدة بالنار والكبريت (رؤ٢٠ : ١٠) ؟ أم هي نار الإثم وما يتبعه من هلاك ، التي تعرض لها يهوشع الكاهن (زك٣ : ٢) . أم هي نار بمعنى صعوبة ، كما في (١ كو٣ : ١٥) . أم هي نار المطهر التي لا أعرف لها شاهداً من الكتاب ...

(٢٠) كذلك عقائد الدين ، لا بد أن تسندها آيات صريحة وواضحة ،
وتعليم كتابي لا يحتمل اللبس والتأويل . ولا يمكن أن تؤخذ عن طريق
الإستنتاج أو التفسير الشخصي .

ولا في الدهر الآتي

«متى ١٢ : ٣٢»

محاولة أخرى يستخدمها أختوتنا الكاثوليك لاثبات المطهر ، هي قوله عن الذي
يجد على الروح القدس إنه «لا يغفر له في هذا العالم ، ولا في الدهر الآتي»
(متى ١٢ : ٣٢) .

ويستنتجون من هذا وجود مغفرة في الدهر الآتي ، ويقولون إن هذه
المغفرة تتم في المطهر!!
وورد حول هذه الآية في ملحق الترجمة اليسوعية للكتاب المقدس (طبعة سنة
١٩٥١ ص ٤٨٨) .

« وفي هذا القول إشارة إلى أن من الخطايا ما يغفر في الدهر الآخر، وهو برهان
قاطع على وجود المطهر. وذلك أن الخطية لا تغفر في السماء، حيث لا يدخل أدنى
دنس، ولا في جهنم حيث لا يُرجى خلاص. فلا بد إذن من مكان آخر بين
السماء والجحيم يتطهر فيه الإنسان من الخطايا العرضية التي لا تستوجب جهنم،
ولا يدخل صاحبها السماء ما لم يتطهر منها .

نلاحظ أن الرب قال « في الدهر الآتي » ، ولم يقل في المطهر . كلمة
الدهر تدل على زمان ، وليس على مكان .

أما المغفرة في هذا الدهر فتتضح من قول الرب « كل ما تربطونه على الأرض
يكون مربوطاً في السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء »

(متى ١٨ : ١٨) . وقوله « من غفرتم خطايا غفرت له . ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت » (يو. ٢٠ : ٢٣) . وفي العلاقات الشخصية « اغفروا يغفر لكم » (لو : ٦ : ٣٧) .

ولكن ما معنى المغفرة في الدهر الآتى :

لا يعنى المطهر إطلاقاً ، فالسيد لم يذكر كلمة مطهر في كلامه . ولم يوجد أحد من الآباء الأول ، فتر هذه الآية على أنها مغفرة في المطهر ، فلم تكن عقيدة المطهر الكاثوليكية قد ظهرت بعد ...

فلذلك كل تفاسير الآباء الأول لا تسند عقيدة المطهر .

لا في هذه الآية ، ولا في كل الآيات الأخرى التي يحاول الكاثوليك الاعتماد عليها ... وكذلك كل ما ورد في التقاليد القديمة .

وإنما المغفرة في الدهر الآتى تفسر على أمرين .

١ - أوهما حالة إنسان لم تنح له فرصة لنوال مغفرة على الأرض :

كإنسان كان في غربة ، ولم يجد كاهناً يعترف عليه وينال منه حلاً . ولكنه كان ثابتاً . هذا ينال المغفرة في الدهر الآتى ، أو تعلن له تلك المغفرة التي لم يسمع ألقاظها بأذنيه ، وإن كان أحسها في قلبه .

أو سائح من السواح hermit- anchorite - كان يعيش في وحدة لا يرى فيها وجه إنسان ، لمدة سنوات طويلة . ولم يسمع كلمة مغفرة من الكنيسة على الأرض . وأنتقل من هذا العالم . هذا ينال المغفرة أو تعلن له في الدهر الآتى .

أو إنسان اساء إلى شخص ، وندم على ذلك ، وعزم من كل قلبه أن يذهب إليه ويصالحه ويعتذر إليه ، ويسمع منه أنه قد غفر له اساءته . ولكنه مات قبل ذلك أثناء غربة أو سفر . هذا ينال هذه المغفرة في الدهر الآتى .

٢ - النوع الثانى إنسان حُرّم من الكهنوت ظلماً ، ومات محروماً . هذا ينال المغفرة في الدهر الآتى .

وما أسهل أن يقع هذا الظلم ، من أشخاص أو حتى من مجامع . ويحدث إما أن الكنيسة تراجع نفسها في الأمر وتحالّل الشخص بعد موته ، بعد سنوات أو في دهر آت . وإما أن الله الذى يحكم للمظلومين ، يغفر لهذا الشخص فى الدهر الآتى ، مادام قد حُرم ظلماً ...

٣ - وعلى العموم فإن المغفرة فى الدهر الآتى لا تكون بمطهر .

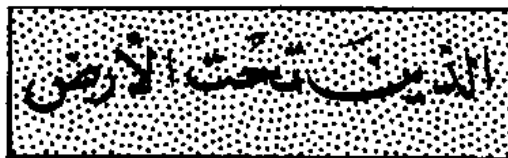
تكون مغفرة من مراحم الله ، التى تقبل التوبة ، والتى ترفع ظلماً قد وقع ، والتى تعرف ظروف الإنسان ، كالغربة مثلاً ، أو السياحة فى الجبال . فيغفر الرب بتحويل خطية هذا التائب إلى دم المسيح ، دون أن يدخله إلى مطهر ، أو يعرضه لعذاب ... فالمغفرة والتعذيب لا يتفقان !

٤ - أما من يجدف على الروح القدس ، فلا يغفر له فى هذا الدهر ، ولا فى الدهر الآتى .

وهكذا نكون قد قدمنا تفسيراً لهذه الآية ، بدون التعرض إطلاقاً لموضوع المهطر الذى لم يتعرض له الرب نفسه .

ولا يجوز تحميل آيات الكتاب فوق ما تعنى ،

ولا أن يفرض عليها تفسير شخصى ، ما كان صاحبه ليفرضه لو عاش فى القرن الحادى أو الثانى عشر ، قبل مجمع ليون ومجمع فلورنسا .



(فى ٢ : ١٠)

يعتمد أختوتنا الكاثوليك أيضاً فى محاولة أخرى لإثبات المطهر ، من قول القديس بولس الرسول : « ولكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ، ومن على الأرض ، ومن تحت الأرض » (فى ٢ : ١٠) .

من الذين تحت الأرض ؟

١ - يقول أخوتنا الكاثوليك : هم النفوس المعتقلة إلى حين ، في ذلك المكان الواقع في باطن الأرض ، والذي أعده الله لتطهير الذين ينتقلون من عالمنا إلى العالم الآخر ، ولا تخلو نفوسهم من بعض الشوائب والعيوب ، التي تحرمهم مؤقتاً من دخول السماء» *

٢ - ولقد رجعت إلى تفسير القديس يوحنا ذهبى الفم ، فوجدته يقول :

« إن كل ركة ما في السماء : تعنى الملائكة والقديسين
ومن على الأرض : تعنى الأحياء المؤمنين الذين على الأرض
ومن تحت الأرض : أى الشياطين ، وهم يخضعون للسيد المسيح شاءوا أم أبوا ... » .

ولذلك قال القديس بطرس الرسول « ... يسوع المسيح ، الذى هو فى يمين الله . إذ قد مضى إلى السماء ، وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له » (١بط ٣ : ٢٢) .
وليس غريباً أن يركع الشياطين . فقد قال معلمنا القديس يعقوب الرسول إن « الشياطين يؤمنون ويقشعرون » (يع ٢ : ١٩) . وليس غريباً - حينما يكون الرب فى مجده - أن الشيطان يركع له ويهرب ويجرى . وكذلك كل أتباعه ...

٣ - إنما هناك فرق بين سجود الأبرار للرب ، وسجود الأشرار :

الأبرار - ملائكة وقديسين - يسجدون للرب فى حب .
والأشرار - بشراً وشياطين - يسجدون للرب فى رعب .

يسجدون فى خوف . ألم يخف منه الشياطين ، وصرخوا قائلين « ما لنا ولك يا يسوع ابن الله . أجتت إلى هنا قبل الوقت لتهلكنا » (متى ٨ : ٢٩) . وكما صرخ الشيطان مرة وقال له « ما لنا ولك يا يسوع الناصرى . أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله » (مر ١ : ٢٤) (لو ٤ : ٣٤ : ٤١) .

٤ - على أن غالبية المفسرين يقولون إن عبارة « من فى السماء ، ومن على الأرض ، ومن تحت الأرض » ، إنما هى رمز للخليقة كلها .

فالخلقية كلها تسبح الله ، كما ننشد نحن كل يوم في صلاة التسبحة
 Psalmody عن الزمور ١٤٨ وفيه « سبحوا الرب من السموات ، سبحوه في الأعلى .
 سبحوه يا جميع ملائكته ... سبحيه يا أيتها الشمس وأيها القمر... سبحى الرب من
 الأرض أيتها الثنائين وكل اللجج ... الجبال وكل الآكام ... الوحوش وكل
 البهائم ... الدبابات والطيور... » (مز ١٤٨) .

ويذكرنا هذا بتسبحة الخليفة كلها في سفر الرؤيا :

يقول القديس يوحنا الرائي « وكل خليفة مما في السماء وعلى الأرض
 وتحت الأرض ، وما على البحر ، كل ما فيها سمعتها قائلة : للجالس على العرش
 وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الأبدن (رؤ ٥ : ١٣) .

نعم كل الخليفة ، بما في ذلك من تحت الأرض ، تسبح الله وتعطيه الكرامة ...
 أما أن نقول إن عبارة (ومن تحت الأرض) تعنى الأبرار والصديقين ، الذين
 لهم هفوات ، ولذلك فإن الله يحسف بهم الأرض ، ويعذبهم تحت الأرض في نار
 وعقوبات ، ثم يرفعهم إلى السماء ، بعد أن تكون كرامتهم قد نزلت إلى الأرض ...
 فهذا كلام غير مقبول ولا معقول ، ولا يتفق مع معاملة الله للأبرار والصديقين ...

قصة المكابيين

دليل آخر يقدمه أختونا الكاثوليك لإثبات المظهر ، يأخذونه من سفر المكابيين
 الثانى ، الإصحاح الثانى عشر . وقد ورد فيه عن حروب يهوذا المكابى :

« وفى الغد جاء يهوذا ومن معه ، على ما تقتضيه العادة ، ليحملوا جثث القتلى ،
 ويدفنونهم مع ذى قرابتهم فى مقابر آبائهم . فوجدوا تحت ثياب كل واحد من
 القتلى أنواعاً من اصنام يميناً مما تحرمه الشريعة على اليهود . فتبين للجميع أن ذلك
 كان سبب قتلهم . فسبحوا كلهم الرب الديان العادل الذى يكشف الخبايا . ثم
 أنثنوا يصلون ويبتهلون أن تمحى تلك الخطية المجترمة كل المحو» .

« وكان يهوذا النبيل يعظ القوم أن ينزهوا أنفسهم عن الخطيئة . ثم جمع من كل واحد مقدمة ، فبلغ المجموع ألفى درهم من الفضة . فأرسلها إلى أورشليم ليقدّم بها ذبيحة عن الخطيئة » .

« وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه لاعتقاده في قيامة الموتى . لأنه لو لم يكن مترجياً قيامة الذين سقطوا ، لكانت صلاته من أجل الموتى باطلاً وعبثاً . ولاعتباره أن الذين رقدوا بالتقوى قد أدخر لهم ثواب جميل . وهو رأى مقدس تقوى . ولهذا قدم الكفارة عن الموتى ليحلوا من الخطيئة » (٢ مك ١٢ : ٣٦ - ٤٦) .

ونحن نتفق مع الكاثوليك في أن هذه القصة تدل على الإيمان بالقيامة ، وعلى الاعتقاد بالصلاة عن الموتى ، وتقديم الذبائح عنهم .

ولكن لا علاقة لهذه القصة بالمطهر في كثير أو قليل . كثير أو قليل .

ولا يوجد في النص أية إشارة إلى المطهر ، ولا إلى غفران الخطيئة عن طريق المطهر . إنما هي عن أناس آمنوا بالقيامة ، وصلّوا من أجل موتاهم ، وجمعوا تبرعات وأرسلوها إلى أورشليم لتقديم ذبائح عنهم . ولا أزيد من هذا ...
وتحميل النص فوق ما يطبق ، هو مجرد محاولة لاستنتاج شخصي لا يوجد ما يسندُه أو يؤيده .

الصديق يسقط سبع مرات

من الآيات التي يستخدمها بعض الكاثوليك في محاولة لإثبات المطهر ، قول الكتاب في سفر الأمثال :

« الصديق يسقط سبع مرات ويقوم » (أم ٢٤ : ١٦) .

صدقوني لقد تعجبت جداً ، حينما قرأت في كتاب (المطهر) للأب لويس برسوم مجرد استخدام هذه الآية ، وأيضاً تحليله لها بقوله :

« إن السقوط الذى تذكره الآية ، هو السقوط فى بعض الهفوات ... والنقائص الصغيرة ... التى تعيب ولاشك الإنسان الصديق ... إلا أنها لا تفقده برارته (بره) »
إلى أن يقول :

« والآن لنفترض أن الموت قد داهم هذا الصديق ، قبل أن يكفر عن كل سقطاته السبع التى أرتكبها فى يومه ... فماذا يكون مصيره ؟ ترى أيزج به الله فى جهنم النار؟! كلا بالطبع ، لأنه بار وصديق ، وواضح أن سقطاته غير قاتلة . فماذا إذن ؟ أيعفو عنه ، ويدخله من فوره السماء والحياة الأبدية ؟! الجواب كذلك كلا . لأن عدالة الله تطالب بحققها كاملاً لآخر فلس » ثم يقول :

« وبالتالي ، فلا مناص من الإلقاء به فى سجن مؤقت ، حتى يؤدى ما بقى عليه من دين ! وهذا السجن المؤقت هو المطهر» !

الرد :

تصوروا يا أخوتى أن الصديق البار ، الذى لا يزال محتفظاً ببره ، لابد أن يلقي فى النار، ويكابد عذاب المطهر، ويدخل سجناً مؤقتاً، من أجل بعض هفوات ، لابد أن يكفر عنها ، ويؤدى ما بقى عليه من دين !!

هل هذه هى البشارة المفرحة التى نادى بها الإنجيل ؟
هل هذه هى بشرى الملاك وقت ميلاد المسيح «ها أنا أبشركم بفرح عظيم ، يكون لكم ولجميع الشعب ، أنه قد ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب» (لوقا : ٢ : ١٠ ، ١١) .

وإذا كان الصديق البار ، سيدخل النار من أجل هفوات ، إن دهم الموت فجأة ، إذن فجميع الناس سيذهبون إلى النار!!

أستطيع أن نقول إن هذه هى عقيدة المسيحية ؟! أين إذن عقيدة الخلاص الذى قدمه المسيح ؟! وأين الكفارة والفداء ؟ وما عمل الدم الكريم المسفوك على الصليب ؟ هل كل هذا يتسى تماماً ، ولا يبقى سوى أن الإنسان لابد أن يكفر بنفسه عن أعماله ، ولا بد أن يدخل النار، حتى عن الهفوات!!!

إن هذا المطهر ليس فقط يعطى أسوأ صورة للحياة بعد الموت ... بل آسف إن قلت : إنه يسىء إلى صورة الله نفسه .

الله الخنون العطوف الطيب ، الذى قال عنه الرسول « الله محبة » (١ يوحنا : ٤) :
٧) ... الله الذى أحبنا حتى أرسل ابنه كفارة عن خطايانا (١ يوحنا : ١٠) . الله الذى أعطانا المحبة التى تطرح الخوف إلى خارج » (١ يوحنا : ١٨) . الله الذى يقول حتى فى العهد القديم « هل مسرة اسرّمت الشريير - يقول السيد الرب - إلا برجوعه عن طريقه فيحيا » (حزقيال : ١٨ : ٢٣) .

الله المحب هذا ، يصورونه لنا بأنه يفاجيء بالموت إنساناً باراً وصديقاً ، ليلقيه فى نار المطهر ، من أجل هفوات !!!

« أبهى أيتها السموات من هذا ، واقشعري وتحيرى جداً » (ارميا : ٢ : ١٢) .

من المستحيل أن تكون هذه المسيحية التى بشر بها المسيح ، وبشر بها الرسل والآباء ... المسيحية التى قال فيها السيد الرب « ما جئت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم » (يوحنا : ١٢ : ٤٧) . والتى قال فيها للمرأة المضبوطة فى ذات الفعل « ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تحطئي أيضاً » (يوحنا : ٨ : ١١) .

هل كل ذلك دفاع عن العدل الإلهي ؟! اطمئنوا ، العدل الإلهي قد وفى حقه على الصليب ... وما دام الإنسان قد تاب ، تنتقل خطاياه إلى حساب المسيح ، فيمحوها بدمه ، ولا تبقى عليه دينونة بعد .

إن الله ليس مخيفاً بهذه الصورة ، التى يقدمها هذا الأب الكاثوليكي للناس ... وعدله ليس سيفاً نارياً مسلطاً على رقاب الناس ، يهددهم بالنار وبالعذاب والعقوبات ، حتى على الهفوات .

وصفات الله لا تتعارض مع بعضها البعض ، ولا تنفصل عن بعضها البعض . فهو عادل ، وهو أيضاً رحيم ، والصفتان غير منفصلتين ، بحيث يقول :

عدل الله ، عدل رحيم

كما أن رحمته رحمة عادلة ، استوفت عدلها على الصليب .

والعجيب أن هذه الآية التي أستخدمها المؤلف ، لا تقول فقط إن الصديق يسقط سبع مرات ، بل تقول « ويقوم » . وقد أغفل المؤلف كلمة « ويقوم » .

فهو يسقط ، لأن كل إنسان معرض للسقوط .

ولكنه في كل مرة يسقط ، يقوم مباشرة ، لأنه صديق .

وفي قيامه من سقطته ، ينال المغفرة بالتوبة (أع ٣ : ١٩) .

ولا يبقى عليه دين ، لأن الله نقل عنه خطيئته ، فلا يموت (اصم ١٢ : ١٣) ... نقلها إلى حساب الحمل الذي يحمل خطايا العالم كله ... فهو لا يكفر عن خطايا السبع ، لأن الكفارة موجودة هناك على الجلجثة ، تستطيع أن تمحو خطايا الكل ...

هل يعقل أن إنساناً باراً وصديقاً ، أنتقل من عالمنا ، ونحن نصلى عليه في الجناز ، ونبكي بدموع ، ونطلب صلواته وشفاعته ، بينما هو في نفس الوقت معذب في نار المطهر ، ليوفى العدل الإلهي عن هفوات وسهوات ، شاء الله أن يفاجئه بالموت ، قبل أن يقدم عنها توبة ، لكي يستحق بذلك العذاب تحت الأرض في سجن المطهر؟! أحقاً أن إله المطهر ، هو إله الحب والبذل الذي عرفناه وأحببناه؟! وهذا البار الصديق أما نفعته الصلاة على الراقدين في شيء؟!

وإن كانت هذه الصلاة لا تشفع حتى في هفوات وسهوات الأبرار والصديقين ، فما لزومها إذن؟! وما نفعها لغيرهم ممن لم يصلوا إلى مستواهم براً وصدوقية؟! أما يكون هذا التفسير المطهرى هجوماً على هذه الصلاة ، يشجع أخوتنا البروتستانت على إنكارها ، ويصبح عشرة لهم .

رحمة بطقوس الكنيسة أيها الأخوة . رحمة بصلواتها .

ولا تبنوا عقيدة بهدم عقيدة أخرى ...

كل هذه التفسيرات الخاطئة في موضوع المطهر كانت عشرة لأخوتنا البروتستانت .

فثاروا على الأعمال جملة ، وعلى كل أنواع الإماتة . بل حتى على بعض ثمار التوبة من إنسحاق وحزن ودموع وأذلال للنفس ، وصاروا يدعون التائبين لى حياة الفرحة مباشرة ، معتمدين على قول المرتل * فى المزمور الخمسين «أردد لى بهجة خلاصك» (ع ١٢) . ومع أننا لا نوافق على بهجة الخلاص بدون الندم والانسحاق النفس وإذلالها ، إلا أننى أقول :

إن هذا الإتجاه البروتستانتى ، هو رد فعل للمطهر و(للفرانات) .

* * *

حتى يوفى الفليس الأخير

(متى ٥ : ٢٦)

يحاول أختوتنا الكاثوليك إثبات عقيدة المطهر من قول السيد المسيح فى العظة على الجبل فى موضوع الصلح : «كن سريعاً فى مرضاة خصمك ، مادمت معه فى الطريق ، لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى . ويسلمك القاضى إلى الشرطى ، فتلقى فى السجن . الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفليس الأخير» (متى ٥ : ٢٥ ، ٢٦) .

فيقولون إن السجن هو المطهر ، يلقى فيه الإنسان ، ولا يخرج منه حتى يوفى كل ما عليه من عقوبات ...

الرد :

١ - يمكن أخذ كلام الرب بطريقة حرفية عن المعاملات مع الناس :

فهو كان يتكلم عن الصلح بين الناس . فقال « إن قدمت قربانك على المذبح ، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك قربانك قدام المذبح ، واذهب أولاً اصططح مع أخيك ... » (متى ٥ : ٢٣ ، ٢٤) . ونحن نأخذ هذه الآيات بمعناها الحرفى عن الصلح ... ثم يقول الرب بعدها مباشرة « كن مرضياً لخصمك

سريعاً...» فلماذا لا تؤخذ هذه الآيات أيضاً كذلك بالمعنى الحرفي؟

٢ - ولكنها حتى لو أخذت بالمعنى المجازي ، فلا علاقة لها بالمطهر:

القديس أوغسطينوس في تفسيره للعظة على الجبل ، قال إن خصمك هو ضميرك ، ويجب أن ترضى ضميرك سريعاً ... وكل الآباء -الذين سلكوا طريقة التفسير المجازي- قالوا إن القاضى هو الله . والسجن هو جهنم . والشرطى هو الملاك الموكل بالهاوية وعبرة «حتى توفى الفليس الأخير» هى تعبير يدل على الاستحالة ، يوضع إلى جوارها «ولن توفى» ... هنا ونقول :

٣ - مستحيل على الإنسان أن يوفى العدل الإلهي ، مهما قضى في السجن :

هذه قاعدة إيمانية . وبسببها تجسد الإبن الكلمة ، لكى يوفى عنها . ولذلك ناب عن البشرية في دفع ثمن الخطية ووفاء العدل الإلهي . وسواء كانت الخطية كبيرة أم صغيرة ، خشبة أم قذى (متى ٧ : ٣) ، بعوضة أم جل (متى ٢٣ : ٢٤) . فإنه ينطبق على النوعين قول الرب «وإذ لم يكن لهما ما يوفيان ، ساعهما جيئاً» (لوقا ٧ : ٤٢) .

٤ - القاضى هو الله الديان العادل . وقضاؤه يكون في يوم الدينونة الرهيب .

وحينئذ يكون الإلقاء في السجن ، هو الإلقاء في جهنم ، التى لا خروج منها إطلاقاً . وهنا يكون الخصم ، هو العدالة الإلهية ، أو هو وصايا الله . وهنا يقف أمامنا سؤال هام وهو :

٥ - كيف يمكن للإنسان وهو في السجن أن يوفى !؟

إن كنت قد ظلمت إنساناً ، أو كنت في عداوة مع إنسان ، كيف تصالحه وأنت في السجن؟! زكا استطاع ذلك وهو على الأرض ، بقوله «ها أنا يارب ، أعطى نصف أموالى للمساكين . وإن كنت قد وشيت بأحد ، أرد أربعة أضعاف» (لوقا ١٩ : ٨) . أما لو كان زكا قد ذهب إلى (المطهر) ، فكيف كان يمكنه أن يرد

٦ - أم هل يظن أخوتنا الكاثوليك أن العذاب هو الذى يوفى؟!

وفى هذه الحالة تكون عقوبة جهنم قد حلت محلها عقوبة المطهر ، ولو بطريقة جزئية ، وتكون كفارة المسيح بلا معنى ولا هدف . ولا يكون هناك فداء . لأن الفداء معناه أن نفساً تبذل ذاتها من أجل نفس أخرى . وهنا كل نفس توفى بذاتها ما عليها!! وكيف توفى والعقوبة غير محدودة؟! إننا لا نستطيع أن نوفى العدل الإلهي ، ولا فى أقل خطية .

مشكلة الأخوة الكاثوليك ، أنهم يظنون أن عبارة « حتى يوفى الفليس الأخير» تعنى أنه يمكن الخروج من السجن بعد وفاء الفليس الأخير!!

٧ - ولكن تعبير حتى توفى الفليس الأخير ، يعنى الاستحالة ، مثل أى سؤال تعجزى لا يمكن الإجابة عليه . وسنضرب لهذا التعبير أمثلة :

أ - مثل قول العذارى الحكيمات للعدارى الجاهلات « اذهبن إلى الباعة وابتعن لكن » (متى ٢٥ : ٩) . وكان من المستحيل أن يبتعن .

ب - ومثل قول القديس بولس الرسول « فإننى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح ، لأجل أخوتى أنسبائى حسب الجسد » (رو ٩ : ٣) . وطبعاً مستحيل أن يكون محروماً من المسيح . ومستحيل أيضاً أن يكون حرمانه من المسيح سبباً فى خلاص أخوته وأنسبائه . ولكنه تعبير تفهم منه الإستحالة .

ج - ومثال آخر وهو قول الرسول فى إثبات القيامة « إن كان الموتى لا يقومون ، فلماذا يعتمدون لأجل الأموات » (١ كو ١٥ : ٢٩) . طبعاً لأنهم يؤمنون بالقيامة ، وإن كان من الاستحالة أن تفيدهم هذه المعمودية ! كما أن هؤلاء الذين يعتمدون لأجل موتاهم ، سبق لهم أن تعمدوا . فمعموديتهم هنا مرتين ، أمر غير جائز...

د - وهنا بالمثل يقول : حتى توفى الفليس الأخير ، أقول لك من المستحيل أن توفى . فمن الخير لك التوبة وأنت فى حياتك على الأرض ، والصلح مع أخيك ههنا ، قبل أن تلقى بسبب ذلك فى السجن الذى لن تخرج منه ...

معنى كلمة (حتى) :

أ - عبارة حتى لا تعنى زمناً محددأ ، ينتهى الأمر بعده . وهذا واضح عند أخوتنا الكاثوليك الذين يؤمنون مثلنا بدوام بتولية القديسة العذراء مريم . وعلى هذا الأساس يفهمون عبارة (حتى) فى قول الكتاب عن العذراء .

« ولم يعرفها حتى ولدت إبنها البكر » (متى ١ : ٢٥) .

ومعروف طبعأ أنه لم يعرفها بعد ولادة إبنها البكر ... ولا داعى لأن نشرح هذه العبارة شرحأ مستفيضأ ، فليس هذا مكانه . والكاثوليك يرون أن أستخدام كلمة (حتى) هنا ، لا يعنى أن ما بعدها عكس ما قبلها .

ب - ميكال زوجة الملك داود ، لما أستهزأت به حينما رقص أمام تابوت العهد ، قال الكتاب عنها :

« ولم يكن لميكال بنت شاول ولد حتى ماتت » (إلى يوم مماتها)
(٢صم ٦ : ٢٣) .

وطبعأ ولا بعد موتها كان لها ولد .

ج - ومن الأمثلة الهامة جدأ «لاهوتياً» ما قيل عن رب المجد :

« قال الرب لربى : أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئأ
لقدميك » (مز ١١٠ : ١) .

وطبيعى أنه ظل جالسأ عن يمين الآب ، حتى بعد أن وضع أعداءه موطئأ
لقدميه .

كل هذه الأمثلة عن معنى كلمة (حتى) وأستخدامها فى الكتاب ، يعرفها أخوتنا الكاثوليك جيدأ ، ويستخدمونها فى إثبات دوام بتولية العذراء ... فلماذا يقفون الآن من كلمة (حتى) موقفأ مغايراً؟ . نقطة إعتراض أخرى نحب أن نقولها
هنا :

٩ - كيف توفى الروح في (المطهر) كل ديونها حتى الفلوس الأخير، بينما الجسد ليس معها :

شريكتها الأثيم ، الذي كان يشترك معها في غالبية خطاياها ، بل كان يدفعها إلى الخطية دفماً لتشارك هي معه « والجسد يشتهي ضد الروح » (غل ٥ : ١٧) .
كيف يقلت هذا الشريك المخالف ، وتقف الروح وحدها لكي توفى الكل « حتى الفلوس الأخير »؟!؟! وهل نستطيع أن نوفى الفلوس الأخير، بينما الجسد لم يعاقب . والمعروف في عقيدة المطهر أنه للأرواح فقط ، التي لا تموت بموت الجسد .

إذن المقصود بالسجن في جهنم بعد الدينونة ، وليس المطهر بعد الموت .

وحتى يوفى الفلوس الأخير ، يفهم أنه بعدها « ولن يوفى » ... أى يبقى في جهنم إلى الأبد .

الفصل الرابع :

إِعْتِرَاضَات فِي مَنَاقِشَةِ الْمُظْهِرِ

الذين يعاصرون القيامة

يقول القديس بولس الرسول : « أما نحن الأحياء إلى مجيء الرب ، لا نسبق الراقدين ... لأنه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله ، سوف ينزل من السماء . والأموات في المسيح سيقومون أولاً . ثم نحن الأحياء الباقين ، سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء ، وهكذا نكون كل حين مع الرب » (١ تس ٤ : ١٦ ، ١٧) .

فهؤلاء الذين يعاصرون القيامة ، وخطفون إلى السماء ، لا يدخلون المطهر طبعاً ، مهما كانت لهم خطايا عرضية أو غيرها . فكيف يتم العدل الإلهي ، كاثوليكياً ؟

ومن غير المعقول أن نقول إن كل الذين يخطفون إلى السماء ، لم تكن لهم ساعة الاختطاف أية سهوات أو هفوات ، أو أية خطية أخرى يرى المعتقد الكاثوليكي أنها تحتاج إلى عقوبة ...

فإن كان عدل الله يسمح بمساحة هؤلاء المختطفين ، فبنفس المنطق ألا يسمح السابقين لهم في الزمن ، مادامت العدالة الإلهية راضية ، ولا حاجة إلى مطهر ...

أم هل يحتاج البعض ويقولون : كيف يختطف هؤلاء دون أن يتطهروا ؟! ويبقى السؤال قائماً : كيف التصرف مع هؤلاء ؟ وكيف يمكن تحليل الأمر لاهوتياً ...

وبنفس المنطق يمكن أن نسأل عن مجموعة أخرى من معاصري القيامة :

كانت عليهم عقوبة . وجاءت القيامة قبل أن يتممها ...

ومعروف في المعتقد الكاثوليكي أنه لا مطهر بعد القيامة . فما العمل في باقى لعقوبة التي لم تستوف . هل تتنازل عنها الكنيسة ؟ وهل يتنازل عنها الله ؟ وإن كان التنازل ممكناً ، فلماذا لا يعمم ؟ ولماذا لا يطبق على كل من يدركه الموت وليس القيامة- قيل أن يتم العقوبات المفروضة عليه ؟ . وحينئذ لا يكون مطهر...

أما إن كان التنازل غير ممكن ، أو هو ضد العدل الإلهي ...

فإن مشكلة لاهوتية تقوم ، وتبقى بلا حل ... !

٢

مشكلة الجسد والروح

حسب عقيدة المطهر ، طبيعى أن الروح فقط هي التي تتطهر بعذابات المطهر. فماذا إذن عن تطهير الجسد؟ سيأتى يوم القيامة، وتتحد الروح بالجسد. وهنا المشكلة:

هل تتحد الروح التي - فرضاً - قد دفعت ثمناً غالياً في نار المطهر لأجل تطهيرها، هل تقبل أن تتحد بجسد لم يتطهر، وكان شريكاً لها في بعض الخطايا، ويأتى ليتحد معها بسهولة. أم تقول الروح له: ابعد عنى. أنا قد تطهرت بالنار، وأنت لم تزل من الأشرار!!

كمنظر عروس جميلة ، يريد أن يتزوجها رجل أبرص ، فتنفر منه ، وترفض أن تكون معه جسداً واحداً ولعل الروح المطهرة تقول للجسد الذى لم يتطهر، هوذا الكتاب يقول:

« أية شركة للنور مع الظلمة؟! » (٢ كو ٦ : ١٤) .

ولعل البعض يقول : إن الجسد قد تطهر ، بعذاب آخر ، حينما أكله الدود ،

وتحول إلى تراب! والرد عليه جاهز. وهو أن الجسد لم يتعذب مطلقاً. فهو حينما مات، لم يعد يحس مطلقاً، ولم يشعر بدود، ولا بالتحول إلى تراب... إذن أين العذاب الذى يماثل عذاب الروح!؟

فإن قيل إن الجسد يتطهر حينما يقوم جسداً روحانياً (١كو١٥ : ٤٤).

هذا حسن وصدق. ولكن هذه العملية تمت بنعمة الله وهبانه، ولم يساهم فيها الجسد بأى ثمن، ولم يتم بوفاء للعدل الإلهى، ولا بوفاء قصاصات كنسية. فلماذا يحدث له هكذا، ويأخذ هذا التغيير والتجلى بلا ثمن، بينما الروح تدفع الثمن، كما تقول عقيدة المطهر!؟

وهل يعامل الله الجسد بهذا التمييز، بينما الروح التى هى أرفع فى مستواها، لا تحظى بشيء من المساواة!؟

لا شك أنها مشكلة، تواجه عقيدة المطهر...

وتنتظر إجابة عادلة...

هل تطالب الروح بأن يدخل الجسد مثلها إلى النار، ويدفع الثمن، ويأتيها متطهراً!؟ ولكنه لا يشعر بعذاب النار، إلا إذا إتحدت به الروح، وأصبح بذلك يحس ويشعر... والاتحاد يكون فى وقت القيامة.

من أجل هذا، تكون دينونة الجسد والروح، هى بعد القيامة.

بعد إتحادهما معاً... وهنا تبطل نار المطهر التى يقال إنها بعد الموت مباشرة... قبل القيامة... والكاثوليك يقولون إنه لا مطهر بعد القيامة... وبعد القيامة تكون النار للدينونة وليس للتطهير...

وتبقى المشكلة بلا حل...

قد يسئ العهد القديم

هل دخل أحد منهم إلى (المطهر)؟ من أمثال آباءنا إبراهيم ونوح ولوط وإيليا وداود، والأنبياء... أقصد هل كابدوا عذابات مطهريّة للتكفير عن خطاياهم؟ ولا شك أنه كانت لهم أخطاء، فالكتاب يقول «ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (مز ١٤: ٣). وقد ذكر الكتاب بعض خطايا هؤلاء القديسين، على الرغم من برهم.

فإن كانوا في العهد القديم لم يدخلوا مطهراً، فهل يكون الدخول في المطهر من سمات العهد الجديد عهد النعمة؟!

وإن قلت: كانوا قبل الصليب في الهاوية، أو في الجحيم... أقول لك: ولكنهم ما كانوا مطلقاً في مكان عذاب، ولم يكابدوا عذابات مطهريّة. إنما كانوا في مكان إنتظار، يرقدون على رجاء، في إنتظار الخلاص.

فما موقف العدل منهم؟ نفس (العدل الإلهي) الذي باسمه يوجد المطهر؟!

ولماذا لا تطالب (النفوس المطهريّة) بنفس المعاملة التي عومل بها قديسو العهد القديم؟ ويبقى السؤال بلا جواب... ونعود فنسأل:

وإن كان السيد المسيح قد طهر قديسي العهد القديم، فلماذا لم يطهر أبناء النعمة في العهد الجديد؟!

ما فائدة الصلوات؟!؟

إن كانت النفوس التي في (المطهر) تعان بصلوات الأحياء، فلماذا هي باقية فيه؟ على الرغم من كل القداصات المقامة، ومن كل الصلوات المرفوعة، ومن كل الصدقات المدفوعة، وعلى الرغم من الغفرانات المحسوبة لهم، وعلى الرغم من تخليص السيدة العذراء الكاملة الطهر وشفاعتها المقبولة...؟!؟

هل ستظل باقية « حتى توفى الفليس الأخير » (متى ٥ : ٢٦)؟!؟

وهل كل الصلوات والغفرانات والشفاعات ، لا تقوى على نار المطهر هذه، إلا بتخفيف حدتها، وتقليل مدتها، أحياناً...؟!؟ وهل الخطايا العرضية تستحق كل هذا العذاب، وكل هذا التوسل، من الكنيسة، أحيانها، وقديسيها المنتقلين؟!؟

وإن كانت الكنيسة لها سلطان التخفيف ، فلماذا لا يكون لها سلطان الإلغاء؟

وهل يفلت المؤمنون من عقوبة (الخطايا المميتة) الثقيلة بوفاء عقوبات عنها، ثم يتعذبون في المطهر بسبب هذه الخطايا العرضية؟!؟

وقد قيل إن الإيمان بالمطهر ، بدأ يضاف إلى قانون الإيمان عند الكاثوليك، منذ أيام البابا بيوس الرابع .

حيث يقول الشخص في قانون الإيمان « أعتقد أعتقاداً ثابتاً بوجود مطهر، وأن النفس المحبوسة فيه تغاث بصلوات المؤمنين » .

المطهر تطهير أم تكفير؟

سؤال هام نسأله في موضوع المطهر، وهو:

هل المطهر هو مطهر؟ هل هو للتطهير أم للتكفير؟

هل تدخله النفوس لتتطهر من ذنوبها، أم لتكفر عن ذنوبها؟

وإن كان القصد هو التطهير، فالنفوس تتطهر بالتوبة، وبالرجوع إلى الله، وبعمل الله فيها... الله الذى قال «ارش عليكم ماء طاهراً فتطهرون من كل نجاساتكم، ومن كل أصنامكم اطهركم. وأعطيكم قلباً جديداً... وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضى...» (حز ٣٦: ٢٥-٧)... هكذا يكون التطهير، وليس بالتعذيب.

أما إن كان القصد هو وفاء العدل الإلهي، ووفاء الديون التي على النفس، والتخلص من القصاص، بالعذاب، يكون الهدف هو التكفير وليس التطهير. ويكون إسم (المطهر) إسماً لا ينطبق على الواقع.

وهذا هو الحادث تماماً... وهذا هو الهدف منه. وهذه هي العقيدة الكاثوليكية التي تعبر عنها كل الكتب التي صدرت عن المطهر: «إنسان لم يوف عقوباته على الأرض، لم يوف العدل الإلهي... فيكفر عن تلك الخطايا في المطهر، لأن السماء لا يدخلها دنس ولا رجس (رؤ ٢١: ٢٧). وهذا هو الموقف حتى من الإنسان البار الصديق الذى ارتكب هفوات!! (أم ٢٤: ١٦). ويسأل المؤلف بكل جرأة: وماذا عن خطيته، والسماء لا يدخلها دنس؟! والإجابة واضحة، يقول القديس يوحنا الرسول:

«إن أخطأ أحد، فلنا شفيع عند الله الآب: يسوع المسيح البار. وهو

كفارة خطايانا . ليس خطايانا فقط ، بل خطايا كل العالم أيضاً » (١ يوحنا : ٢) .

أما نسيان كفارة المسيح ، أو اعتبارها غير كافية ، والاعتماد على عذاب الإنسان في المطهر لوفاء العدل الإلهي ، فهذا أمر ضد الإيمان المسيحي . وما أسهل أن نورد هنا عشرات الآيات الخاصة بالفداء الذي قدمه السيد المسيح ، والكفارة التي قدمها . وليس فقط أنه منحنا الخلاص . وإنما بالأكثر حصر الخلاص فيه وحده . ويكفي قول القديس بطرس الرسول عن الرب :

« ليس بأحد غيره الخلاص » (أع ٤ : ١٢) .

ويتابع القديس كلامه فيقول « لأن ليس إسم آخر تحت السماء ، قد أعطى بين الناس ، به ينبغي أن نخلص » (أع ٤ : ١٢) . أما في عقيدة المطهر ، فكون الإنسان يوفى عن نفسه العدل الإلهي ، فمعناه أن يقوم بخلاص نفسه بنفسه ، وكان المسيح لم يخلصه . ويرفض أن يقول مع داود النبي « كأس الخلاص آخذ ، وباسم الرب أدعو » (مز ١١٦ : ١٣) . وتكفير الإنسان عن خطاياه ، تعليم ضد الإنجيل . ومع ذلك فالتكفير بالأعمال البشرية تعليم إنتشر بين البعض ...

كإنسان يتعبه ضميره بسبب خطيته ، فيقول : أكفر عن خطيتي بأيام صوم أفرضها على نفسي !! أو ببعض أعمال النسك ! كلها تعبيرات لا تتفق مطلقاً مع الفهم اللاهوتي للكفارة ...

وهؤلاء الذين يقولون : لا بد أن يذهب الإنسان إلى المطهر ، ليكفر عن خطاياه العرضية ، وعن خطاياه الأخرى المغفورة التي لم تستوف عقوبتها ... إنما يذكرونني بصرخة داود النبي وهو يقول :

« كثيرون يقولون لنفسي : ليس له خلاص بإلهه » (مز ٣) .

أما نحن فنؤمن بخلاص الرب ، خلاصه الكامل الشامل ، الذي يشمل وصمة الخطية ، وعار الخطية ، وعقوبة الخطية ، خلاصه الذي يشمل كل ما يطلق على الخطية من أسماء : العرضية والمميتة ، والإرادية وغير الإرادية ، وخطايا الجهل ، والخطايا الحفية والظاهرة ... الكل بلا استثناء . كما يقول الكتاب :

« والرّب وضع عليه إثمّ جيّنا » (اش ٥٣ : ٦) « ودم يسوع المسيح
 إينه، يطهرنا من كل خطية... ومن كل إثمّ » (يو ١ : ٧ ، ٩) -
 مادام الرّب « قد وضع عليه إثمّ جيّنا » ، إذن قليس علينا إثمّ بعد. لأنّه قد
 نقل عنا (٢صم ١٢ : ١٣) ... نقل عنا إلى الحمل الذي يرفع خطايا العالم كله
 (يو ١ : ٢٩). نعم لا يكون علينا إثمّ، مادمتنا قد آمنّا بالمسيح وبخلاصه وفدائه
 وتبنا... وسلكتنا في النور، ولم نخالف عقيدة إيمانية... إذن « لا شيء من اللبنة »
 علينا بعد (رو ٨ : ١) -

هذا هو خلاص الرّب ، الكامل الشامل ، الرافع لكل عقوبة .

هذا هو الخلاص الذي رفع عنا كل دينونة . كما يقول الرّب نفسه « الحق
 الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي.. ، ويؤمن بالذي أرسلتني ، فله حياة أبدية ،
 ولا يأتي إلى دينونة ، بل قد أنتقل من الموت إلى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) . وعجوبة
 « لا دينونة » يكررها القديس بولس الرسول أيضاً في (رو ٨ : ١) . لا دينونة إذن
 على خطايا قد عُفرت . مادام الإنسان قد تاب ، فهو قد تطهر من خطيته ، واستحق
 تكفير المسيح عنها بدمه .

عملية التطهير تتم بدم المسيح وليس بنيران المطهر .

أما العذاب في المطهر ، فإنه لا يطهر ، ولا يكفر عن خطية .

إن النفوس تتطهر بحبة الله التي تحمل محل حبة الخطية . وحبّة الله لا تأتي
 نتيجة التعذيب في نار المطهر ، تحت الأرض... والتطهير لا يأتي إلا بالتوبة ، ولا
 توبة بعد الموت... فالعذارى الجاهلات أردن أن ييخثن عن زيت بعد الموت فلم
 يجدن ، ووقفن خارج الباب (متى ٢٥ : ١ - ١٢) ، على الرغم من أنهن كن
 عذارى ، ينتظرن العريس ، بإيمان أنه الرّب ، وكانت معهن مصابيح .

ومن الدلائل على أنه لا توبة بعد الموت ، قول الرّب لليهود :

« إن لم تؤمنوا أنني أنا هو ، تموتون في خطاياكم » (يو ٨ : ٢٤) .

وقال لهم أيضاً « أنا أمضي ، وستطلبونني وتموتون في خطاياكم . وحيث أمضي

أنا ، لا تقدرون أنتم أن تأتوا» (يو: ٨ : ٢١) . فما معنى عبارة «تموتون في خطاياكم» ؟ أتراها تعنى أن يتخلص الإنسان من هذه الخطايا بعد الموت ويتطهر ويذهب إلى الفردوس؟! كلا طبعاً ، وإلا فما معنى قوله بعدها «حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا»!؟

٦

الغفرانات

الغفرانات عند أختوتنا الكاثوليك هي منح يمنحها الباباوات لمن يتلو تلاوات أو صلوات خاصة ، أو لمن يزور أماكن مقدسة معينة .

والغفرانات لها علاقة وطيدة بالمطهر . فهي تساعد على خصم مدد منه (سنوات وأيام) سواء لشخص الخاطيء ، أو لشخص آخر ، إن كانت هذه الغفرانات على نيته أو على ذمته .

كما قيل عن غفرانات الوردية ، إنه يمكن تخصيصها كلها للنفوس المطهريّة .

ونتيجة لكثرة التلاوات والصلوات والزيارات المقدسة التي يقوم بها بعض القديسين ، قد يحصلون على غفرانات أكثر مما يحتاجون لتغطية عقوبة سهواتهم وخطاياهم العرضية . وتسمى هذه بزوائد فضائل القديسين . ويمكن أن تنفع النفوس التي في المطهر ، فتخفف عنهم العقوبة أو تقلل المدة .

وسنذكر الآن بعض أمثلة من الغفرانات .

أمثلة من غفرانات الزيارات :

ورد في كتاب « قانون الرهبانية الثالثة العالمية » الذي جمعه «أحد الأخوة الأصاغر» وطبع في مطبعة الآباء الفرنسيين بواورشلين سنة ١٨٨٧م :

إن الخبر الرومانى قد منح من يزور هيكل تلك الأخوية ، في الأيام المذكورة في كتاب القديس الرومانى « يربح في ذلك اليوم ما يكسبه في رومة عينها ». وقد أورد جدولاً بتلك الأيام وغفراناتها ، لاغتنام هذا الخير من معرفة تلك الأيام ، وما منح فيها من غفران :

١ - أول كانون الثانى - ختان السيد - غفران ٣٠ سنة و ٣٠ أربعينية .

٢ - سادس كانون الثانى - الغطاس - غفران ٣٠ سنة و ٣٠ أربعينية .

٤ - أربعاء الرماد وأحد الرابع من الصيام : لكل غفران ١٥ سنة و ١٥ أربعينية .

٥ - أحد الشعانين : غفران ٢٥ سنة و ٢٥ أربعينية .

٨ - كل يوم من الصيام الكبير - غير ما ذكر - لكل غفران ١٠ سنوات و ١٠ أربعينات .

١١ - ٢٥ نيسان - القديس مرقس الإنجيلى - غفران ٣٠ سنة و ٣٠ أربعينية .

١٥ - أحد العنصرة والأيام الثمانية التالية - غفران ٣٠ سنة و ٣٠ أربعينية .

[يلاحظ أننا اخترنا بعض أمثلة أيام من تلك القائمة الطويلة] .

وورد في الكتاب أيضاً أن البابا لاون ١٣ منح غفران ٣٠٠ يوماً لكل مرة يحضر فيها شخص الصلاة التى تقام لإكرام القديس فرنسيس السارونى .

وهناك غفرانات من البابا ليو الرابع ، والبابا بسكال الثانى .

تسع سنوات غفراناً ، لكل درجة يصعد بها جاثياً من درجات السلم المقدس ، وهى ٢٨ درجة !!

أى غفران ٢٥٢ سنة لصعود السلم كله ...

أمثلة للغفران بسبب التلاوات :

ورد في كتاب « الصلوات اليومية » للكاثوليك الغفرانات الآتية :

١ - غفران ٥٠ يوماً لكل مرة يقول فيها المصلى « بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين » .

٢ - غفران سبع سنوات وسبع أربعينات ، لكل مرة تتلى فيها أفعال الإيمان والرجاء والمحبة . وهذه الأفعال عبارة عن صلوات كل منها عبارة عن ثلاثة أو أربعة أسطر .

٣ - غفران ١٠٠ يوماً لكل مرة يقول فيها المصلى « يا ملاك الله المتقلد حراستي من رأفته تعالى ، أتر عقلي وأحرسنى ، ودبرنى وارشدنى ، وتخلصنى من الشرير ، آمين » .

٤ - غفران ١٠٠ يوماً لكل مرة يقول فيها المصلى « هلم يا روح القدس ، واملأ قلوب مؤمنيك ، وأضرم فيها نار محبتك المقدسة » .

٥ - غفران ٣٠٠ يوماً لكل من يدعو قلب يسوع الأقدس .

٦ - غفران ٣٠٠ يوماً لكل من يقول « يا يسوع ومريم ... » .

٧ - غفران ٧ سنين وسبع أربعينات ، لكل من يقول « يا يسوع ومريم ومار يوسف ... » إلخ ...

وورد في كتاب غنفة الزهور الزكية للنفوس ص ٢٧٩ .

غفران ١٠٠ يوماً لكل مرة « أبانا .. » ولكل مرة « السلام .. »

وغفران ١٠ سنوات ، وعشر أربعينات ، مرة في النهار ، لمن يتلوها جهاراً أو مع آخرين ، في كنيسة أو في غير ذلك .

غفرانات خاصة بالوردية :

ورد في كتاب « تحقيق الأمنية في عبارة الوردية » .

الذى طبع في القاهرة سنة ١٩٨٦ م ، بعض وعود للقديسة العذراء منها :

ص ١٥ : « أخلص كل يوم من المطهر من كان من مخلصى العبادة لورديتى .

ص ٢٠ : كل غفرانات الوردية بأسرها يسوغ تخصيصها للنفوس المطهرية .

ص ٢٦ : غفرانات وهبات عديدة أثبتها البابا لاون ١٣ فى السنوات ١٨٨٧ ،

١٨٩٢ ، ١٨٩٩ .

غفرانات خاصة بمسبحة قلب يسوع :

عن كتاب « صلوات أحباء قلب يسوع » . صدر سنة ١٩٥٦ م .

وتتلى مسبحة قلب يسوع ، على مثال مسبحة القديسة مريم العذراء ، فتعطى

الغفرانات الآتية :

ص ١٤ - غفران ٣٠٠ يوماً ، لمن يقول « يا قلب مريم الحلو ، كن

خلاصى » . وغفران ١٠٠ يوماً لصلوة أخرى .

ص ٧ - غفران ٣٠٠ يوماً لمن يقول أبانا ، والسلام ، والمجد ، على نية

الكنيسة .

ص ٢٢ - غفرانات منحها البابا بيوس التاسع سنة ١٨٧٦ ، منها غفران ١٠٠

يوماً ، وغفران ٨٠ يوماً ، لصلوات .

ص ٤٨ - طلبه القربان المقدس - غفران سنتين ، إذا تليت علانية .

غفرانات ساعة الموت :

« إن كانت إلى جواره الوردية أو الأيقونة : يريح غفراناً بسببها . ولا يشترط

أن تكون معلقة بجيده ، أو ملتوية على ذراعه ، أو مضبوطة بيده . بل يكفى أن

تكون على الفراش قريبة منه ، ولو لم يرها ولا يلامسها ولا يعلم بها ...

غفرانات شهر قلب يسوع :

وهي في شهر يونيو ، ومنها :

١ - غفرانات ممنوحة من البابا بيوس العاشر في ٨ أغسطس سنة ١٩٠٦ ، وفي ٢٦ يناير سنة ١٩٠٨ . يمنح غفراناً كاملاً لمن يزور الكنائس التي يحتفل فيها بشهر قلب يسوع في آخر أحد من يونيو . فكل من يحرص على إقامة هذه الاحتفالات ينال :

أ - غفران ٥٠٠ يوماً لأجل كل عمل صالح مآله أنتشارها أو إتقانها .
ب - غفراناً كاملاً في كل مرة يتناول فيها القربان المقدس في شهر يونيو .

٢ - غفرانات ممنوحة من البابا لاون ١٣ في ٣٠ مايو سنة ١٩٠٢ :

غفران سبع سنوات وسبع أربعينات ، وغفراناً كاملاً ، لمن يحضر شهر قلب يسوع ١٠ مرات على الأقل ، في كنيسة أو بيت ، ويزور كنيسة أو معبداً في شهر يونيو .

ومن الأمثلة أيضاً : غفرانات سنة اليوبيل الخاصة بالموتى .

[المرجع كتاب : مختصر اللاهوت الأدبي] .

مناقشة موضوع الغفرانات :

١ - المفروض في الغفران أنه لمغفرة خطية أو خطايا :

فما معنى منح غفران ، بسبب صلوات ، أو تلاوات مقدسة ، أو زيارة لأديرة أو كنائس؟! ما هو الشيء الذي يغفر هنا؟ إلا لو كانت كلمة L'Indulgence لها معنى آخر غير الغفرانات ، وإنها كذلك . فالترجمة إذن تحتاج إلى تعديل .

٢ - المبدأ اللاهوتي الثابت هو أن المغفرة وسيلتها التوبة .

« توبوا فتمحى خطاياكم » (أع ٣ : ١٩) و « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣ ، ٥) . فما دخل التلاوات والزيارات بالمغفرة؟ وما دخل الاحتفالات بالمغفرة التي لا تكون إلا بالتوبة ، سواء كانت احتفالات خاصة

باليوبيل أو شهر قلب يسوع أو أعياد قديسين وما أشبه...؟! وأيضاً ما دخل العذراء في الوردية بأمور المغفرة. يمكن أن تشفع العذراء، ولكن لا بد من التوبة.

٣ - إن الغفرانات عن طريق التلاوات والزيارات والاحتفالات ، لا يمكن أن تتم بدون الرجوع إلى الله ، ونقاوة القلب ، بترك الخطية .

٤ - مجرد التلاوات يفتل العمق الروحي للصلاة .

فما أسهل أن يكرر الإنسان صلاة عشرات أو مئات المرات ، ويكون ذلك بلا عمق وبلا روح ... والمسألة ليست كثرة تلاوات . فالصلاة ليست مجرد تلاوة . وإنما ينبغي أن تكون فيها عناصر روحية ، كأن تكون الصلاة بإيمان ، بخشوع ، بحرارة ، بفهم ، بروح ، بعاطفة وحب ، بتأمل ... إلخ . أما مجرد التلاوة للحصول على غفرانات ، فاسلوب غير روجي ...

وربما صلاة واحدة قصيرة بعمق وروح ، تكون أكثر فائدة من مائة صلاة بمجرد التلاوة ...

إن العشار صلى صلاة قصيرة ، بكلمات قليلة ، وخرج بها مبرراً (لـ ١٨) : (١٤) . بينما كانت صلاة الفريسي أطول منه بكثير، ولم يستفد شيئاً ! كذلك صلاة اللص اليمين كانت قصيرة ، ولكنها بإيمان وعمق ، فاستحق به وعد الرب له بالفردوس (لـ ٢٣ : ٤٢ ، ٤٣) .

٥ - وما معنى تحديد الغفرانات بأيام وسنين واربعينات ؟!

على أى أساس وضعت هذه الأرقام ؟ وما سندها اللاهوتي ؟ وما سندها الكتابي ؟ وهل هى مجرد أقساط تدفع من حساب إنسان ؟ وهل هى خصم من حساب المطهر، وعلى أى أساس ؟!

وأيهما أسهل : أن يقول شخص (أبانا الذى) مرة ، أم يقضى ١٠٠ يوماً في عذاب المطهر؟ وأين التوازن بينهما .

بحيث أن من يتلو (أبانا الذى) مرة ، يغفر له ١٠٠ يوماً !! مائة يوماً من أين ؟ أو من ماذا ؟ من أى حساب . وما معنى غفران ٢٥٢ سنة لمن يصعد

درجات السلم المقدس جاثياً؟! هل صعود هذه الدرجات يوازي عذاب
٢٥٢ سنة في المطهر، بعذابات تشبه عذابات جهنم...؟!

على أى أساس وضعت هذه الأرقام والمدد من الغفرانات ؟

ولعل الإجابة هى : على أساس السلطة الكنسية ، السلطة الممنوحة للكهنوت .
ونحن نؤمن أيضاً بالسلطة الكنسية الكهنوتية . ولكننا نسأل :

على أى أساس منحت السلطة الكنسية هذه الغفرانات ؟

نقول هذا لأنه من فم الكاهن تطلب الشريعة (ملا ٢ : ٧) . فماذا قالت
الشريعة في هذا الأمر؟ إننا نسأل ...

٦ - هل زيارة الأماكن المقدسة هى للبركة أم للغفران :

ما معنى أن زيارة مكان معين ، في يوم معين بالذات ، تمنح غفران ٣٠ سنة
٣٠ أربعينية؟! وما ذنب الذى لم تسمح له ظروف عمله ، أو ظروفه المالية ، أو
ظروف صحته بزيارة ذلك المكان المقدس؟! وما ذنب إنسان مكان سكنه بعيد
جداً عن هذا المكان المقدس.. هل يُحرم من المغفرة كل هذه السنوات ، دون ذنب
جناه ، ويتمتع بها شخص آخر دون فضل منه ، بل ظروفه أفضل؟!

٧ - ما معنى أن يغفر لشخص ١٥ سنة لعمل ، و ٢٥ سنة لعمل آخر ،
٣٠ سنة لعمل ثالث؟!

أو تختلف هذه الغفرانات باختلاف يوم الزيارة وموعده . أو تختلف مدة
الغفران إن قيلت الصلاة سراً أو قيلت علانية! ولماذا الغفران أحياناً بالأيام ،
وأحياناً بالأربعينات ، وأحياناً بالسنوات أو بعشرات السنوات؟!

بودى لو يقدم أحدهم رسالة علمية لأحد المعاهد اللاهوتية ، لشرح الحكمة في
هذه الأرقام وهذه الغفرانات ، وأساسها اللاهوتى والكتابى والكنسى ... لأننى وقفت
أمامها متحيراً ، كما وقف دانيال النبى أمام إحدى الرؤى على الرغم من شرح
رئيس الملائكة له ، وقال « وكنت متحيراً من الرؤيا ، ولا فاهم » (دا ٨ : ٢٧) .

نحن نفهم أنه توجد مغفرة ، أو لا مغفرة . أما المغفرة الجزئية المحددة
بأرقام سنين وأيام ، فلا نفهمها !

إنسان يتوب ، فيغفر الله له . أو لا يتوب فلا يحظى بمغفرة . أما أن تغفر له
مدة محددة ، ويظل الحساب جارياً بينه وبين العقوبة ... فهذا شيء لا وجود له في
الكتاب المقدس ! وأما أن يموت هذا الإنسان ، ويبقى حسابه جارياً ، يسدده بعد
الموت ... فهذا أمر أكثر خطورة .

إن موضوع المغفرة عموماً ، يحتاج إلى بحث مع أخوتنا الكاثوليك :

١ - هل المغفرة هي بدم المسيح وكفارته وفدائه و يستحقها الإنسان بالتوبة ،
وينالها في أسرار الكنيسة ؟

٢ - أم المغفرة هي بالقصاصات التي تقرها الكنيسة على التائبين ؟

٣ - أم المغفرة هي بوفاء العدل الإلهي بالعذاب في المطهر ؟ وتكفير الإنسان عن
نفسه بعقوبات ؟

٤ - أم المغفرة هي بمنح الغفرانات حسب القوائم التي نشرنا بعضها ؟

٥ - أم المغفرة هي بلوائد القديسين ، أو تخليص العذراء للنفوس المطهرة ؟

٦ - وهل المغفرة تكون كاملة أم جزئية ؟

٧ - وهل المغفرة تكون فقط من وصمة الخطية ، وتبقى العقوبة قائمة ؟ وتبقى
على الإنسان دينونة لم ترفعها عنه كفارة المسيح ؟

أما نحن فنؤمن بالبند الأول من هذه البنود السبعة . ونرى أن مغفرة
الرب لنا كاملة وشاملة ، لا ندخل بعدها في دينونة . ولا عقوبة بعد الموت
للخطايا المغفورة ؟

ونحب بمناسبة الغفرانات التي تخصم من حساب القصاصات أو حساب المطهر ،

أن نتعرض لموضوع «زوائد القديسين» :

زوائد القديسين

نحن نؤمن بالقديسين ، وبربكتهم وشفاعتهم ، ونمجد حياتهم الفاضلة ، ونحتفل بأعيادهم ، وندشن أيقوناتهم ، ونبنى الكنائس على أسمائهم ، ونتلو قصصهم في كتاب السنكسار أثناء القداسات على المؤمنين، ونذكرهم في ألحاننا وفي القداس الإلهي . ولكننا على الرغم من كل ذلك نسأل :

١ - هل يمكن أن تكون للقديسين زوائد ؟ أو زوائد فضائل ؟

إن المطلوب هو الكمال ، فهل زاد أحد من القديسين على الكمال ؟

يقول ربنا يسوع المسيح في العظة على الجبل « فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (متى ٥ : ٤٨) . فهل أستطاع أحد من القديسين أن يصل إلى هذا الكمال المطلوب؟! هوذا القديس بولس الرسول يقول «إن المسيح جاء إلى العالم، ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا» (١تى ١ : ١٥) . والقديس يوحنا الرسول يقول «إن قلنا إنه ليس لنا خطية، نضل أنفسنا وليس الحق فينا» (١يو ١ : ٨) . والقديس يعقوب الرسول يقول «لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (يع ٣ : ٢) . وهوذا الرب نفسه يقول :

متى فعلتم كل ما أمرتم به ، فقولوا إننا عبيد بطلون » (لوقا ١٧ : ١٠) .

من فينا تم جميع الوصايا ، ووصل إلى رتبة عبيد بطالين؟! فإن كنا لم نفعل بعد جميع ما قد أمرنا الرب به ، فأين هو الكمال إذن . ولا أقول أين هى الزوائد ؟ فلنسمع القديس بولس الرسول يقول :

« ليس إنى قد نلت أو صرت كاملاً ، ولكنى اسعى لعلى أدرك » (فى ٣ : ١٢) .

ويكرر العبارة قائلاً « أنا لست أحسب نفسي أنى قد أدركت ، ولكنى ... أمتد إلى ما هو قدام ، اسعى نحو الغرض » (في ٣ : ١٣ ، ١٤) . فإن كان هذا القديس الذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥ : ١٠) ، وصعد إلى السماء الثالثة (٢كو١٢ : ٢ ، ٤) يقول إنه لم يصل إلى الكمال ، ولم يدرك ، وأنه لا يزال يسعى لكي يدرك . فهل يعقل أن نقول عن قديس إن له زوائد ؟ أو أن له فضائل فوق المستوى المطلوب ؟!

فإن كان هذا المعنى غير مقبول ، ننتقل إلى الآخر :

٢ - هل يعقل أن إنساناً ينال غفراناً فوق احتياج خطاياها ، فيزيد عن حاجته ؟!

وإن كانت خطاياها كلها قد غفرت ، فما معنى أن تمنحه الكنيسة غفراناً ليس هو في حاجة إليه ، فيزيد عن احتياجه ، ويبقى رصيذاً يستخدمه لصالح غيره من النفوس المطهرة !!

وإن كان في غير حاجة إلى غفران ، فلماذا يطلب مغفرة خطاياها كل يوم في الصلاة الربية .

بصراحة إن عبارة زوائد القديسين ، هي عبارة زائدة .

يبقى بعد ذلك التفسير الثالث لزوائد القديسين وهو :

٣ - إن هذا القديس تلا تلاوات كثيرة أخذ عليها غفرانات ، وزار كثيراً من الأماكن المقدسة التى تحسب لها غفرانات ، وأصبح له من كل ذلك رصييد يسمى زوائد .

والأمر لا يتعلق بفضائل زائدة ، ولا بخطايا مغفورة !

وكل إنسان يستطيع أن يقوم بمثل هذه التلاوات والزيارات والأحتفالات المقدسة ، ويكون له رصييداً من غفرانات لا يحتاج إليها . ويبقى المفهوم اللاهوتى يحتاج إلى تفسير... ثم نسأل سؤالاً آخر :

٤ - هل يمكن لإنسان أن يعطى من زوائده لغيره ؟

ويجيب الرب عن هذا السؤال في مثل العشر عذارى: حيث قالت الخمس الجاهلات للخمس الحكيمات «أعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفئ». فأجابت الحكيمات قائلات «لعله لا يكفي لنا ولكن. بل أذهبن إلى الباعة وأبتعن لكنَّ» (متى ٢٥ : ٨ ، ٩).

في مسألة الخلاص والمغفرة ، لا بد من التوبة لكل أحد . وإلا فإن «بر البار عليه يكون . وشر الشرير عليه يكون» (حز ١٨ : ٢٠).

٥ - كل ما نقوله إن القديسين يتشفعون . ولكن لا يعطون من (زوائدهم!) لآخرين ...

لا أحد من القديسين له زوائد . ولا فضائل أحد يمكن أن تعطى لغيره ... إنما هم يشفعون ... ولعل البعض هنا يسأل: ألم يتفوق القديسون على غيرهم ويزيدون؟ نقول نعم، من جهة المقارنة بغيرهم يزيدون عن غيرهم . ولكنهم أمام الله لم يصلوا بعد إلى الكمال المطلوب ، كما قال بولس الرسول عن نفسه (في ٣ : ١٢-١٤).

٦ - كما أن تفوق القديسين لا يوجب للغير ، إنما له منزلته ، وله أكاليه .

وفي هذا يقول الكتاب إن «نجماً يمتاز عن نجم في المجد» (١كو ١٥ : ٤١). وقال بولس الرسول عن نفسه وجهاده «وأخيراً وضع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل...» (٢تى ٤ : ٨). بولس أخذ إكليل الجهاد، وإكليل البتولية، وإكليل الرسولية، وإكليل البر، وأيضاً إكليل الشهادة. وقديسون آخرون أخذوا بعضاً من هذه الأكاليل، كل حسب مرتبته. ولكنهم لم يهبوا من أكاليهم لآخرين.

إنما هم يصلون من أجلنا ، وصلاة البار تقدر كثيراً فى فعلها (يع ٥ : ١٦).

إنهم يعطوننا من بركتهم وصلواتهم . وليس من زوائدهم !

مشاركة المسيح

عَبارة لأب كاثوليكي

في كتاب (المطهر) للأب لويس برسوم ص ٤٧، بعد حديث طويل من (العقاب الزمني) الذي وقع على داود النبي، يقدم المؤلف اعتراضاً بخصوص الكفارة بدم المسيح، ويرد عليه فيقول:

« قد يقول قائل إن ذلك كان في العهد القديم . وأما في العهد الجديد، فتكفي التوبة للفوز بدخول السعادة الأبدية . لأن المسيح قد كفر عنا . ومن ثم فلم يعد بعد من عقاب أو عقوبات علينا، نحتاج أن نكفر عنها .»

« ولكن هذه مغالطة ، أبعد ما تكون عن الواقع والحقيقة . إذ كما يعلن القديس بولس «إننا إنما نشارك المسيح في آلامه، لنشارك في مجده» (رومية ٨: ١٧) . وهذا يعني أننا إن لم نشارك المسيح في عملية التكفير، فلما يكون عن خطايانا فلن نشاركه في مجده»!!

تَعْقِيبٌ

صدقوني إنني قرأت هذه العبارة فذهلت من أمرين :

- ١ - أعتبره أن القول بأن المسيح قد كفر عن خطايانا ، وإننا لم نعد في حاجة أن نكفر عنها، إنما هو مغالطة أبعد ما تكون عن الواقع والحقيقة!!
- ٢ - أعتبره أن الشركة في آلام المسيح ، تعني أن نشارك المسيح في عملية التكفير، على الأقل في التكفير عن خطايانا!!

هذا الأمر يجعلنا ندخل في موضوع أخطر من المطهر ، وهو ما قام به المسيح من كفارة ...

العجيب أن المؤلف يشرح بعد ذلك أنه لا خلاف أن المسيح هو فادى الأنام وليس سواه، وأنه « ليس بأحد غيره الخلاص » (أع ٤ : ١٢)، وأن دم المسيح يطهرنا من كل خطية (١ يوا : ٧). ثم يقول « ومع ذلك لم يعف داود من العقاب الزمنى المرتب على الخطية » ويستطرد :

« مما تقدم يبدو بوضوح بأن هناك - فضلاً عن العقاب الأبدى ، الذى يعفى منه التائب بمجرد حله من وصمة الخطيئة ، عقاباً زمنياً هو بمثابة تأديب ، لا مناص من احتمالته للتكفير عن الخطيئة هذا العقاب الكفارة » ، إن لم يأخذ مجراه فى هذه الدنيا ، فلا مفر من أن يأخذ مجراه فى الآخرة ، فى المطهر » (ص ٤٨).

إذن لا بد فى المعتقد الكاثوليكي ، أن الإنسان لا بد أن يكفر عن خطاياہ ، بعقوبات على الأرض ، أو فى المطهر . وتعتبر هذه العقوبات شركة فى آلام المسيح ، حسب قول الأب الكاتب .. !

وهنا نود أن نورد حقيقتين إيمائيتين اساسيتين وهما :

- ١ - الكفارة عن الخطايا هي بدم المسيح وحده ... وحده .
- ٢ - شركة آلامنا مع المسيح ، ليست إطلاقاً شركة فى الكفارة .

المسيح هو الذبيحة الوحيدة المقبولة للكفارة عن الخطايا . لأن المفروض فى الذبيحة أن تكون بلا عيب ، وأن تكون غير محدودة لتفى العقوبة غير المحدودة بسبب خطية غير محدودة ، موجهة ضد الله غير المحدود . ومن هنا كان لا بد من التجسد الإلهي .

أما الإنسان ، فلا يصلح أن يكون كفارة ، أياً كان .

« الجميع زاغوا وفسدوا ، وأعوزهم مجد الله . ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد » (مز ١٤ : ٢ ، ٣) . والسيد المسيح يقول « إن عملتم كل ما أمرتم به ، فقولوا إننا عبید بظالون » (لوقا ١٧ : ١٠) . لا الإنسان يمكنه أن يكفر عن خطيئته ،

ولا عن خطيئة غيره، لأنه إنسان خاطيء محدود. «وذبيحة الأشرار مكرهة للرب» (أم ١٥ : ٨).

مهما تاب الخاطيء ، ومهما أنسحق قلبه ، ومهما مارس من تأديبات وعقوبات أرضية ، ومهما صنع ثماراً تليق بالتوبة ... فلن يشترك مع المسيح في عملية التكفير..

إنه بكل هذا يستحق كفارة المسيح ، لا أن يشترك معه في التكفير عن الخطية .

إن الأمور اللاهوتية تحتاج إلى دقة في الفهم ، وإلى دقة في التعبير. والكتاب المقدس يعهده بمحصر الكفارة في الدم، في دم المسيح وحده لا غير. لا يقوم إنسان بعملية التكفير، ولا يشترك في عملية التكفير، مهما تألم ، ومهما دخل في شركة الآم المسيح --

وهنا نسأل : ما معنى شركة الآم المسيح ؟

شركة الآم المسيح

يقول القديس بولس الرسول « لأعرفه وقوة قيامته ، وشركة الآمه ، متشبهاً بموته » (في ٣ : ١٠) . وورد في (في ١ : ٢٩) لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله... وتتألموا لأجله ، ليس معناها أن تتألموا في المطهر. كلا طبعاً ، وإنما :

تتألموا من أجل البر . وتتألموا لأجل الخدمة والكرامة ونشر الملكوت .

والقديس بطرس الرسول يقول « إن تألمتم من أجل البر فطوباكم » (١ بط ٣ : ١٤) . هنا ، تألمتم من أجل البر ، وليس من أجل الخطايا والتكفير عنها ، ووفاء العدل الإلهي ... وبنفس المعنى يقول القديس بولس الرسول « جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون » (٢ تي ٣ : ١٢) . هذه هي الآم من أجل المسيح ...

آلام الطريق الكرب والباب الضيق (متى ٧) والجهاد والتعب .

والقديس بولس الرسول الذى قال عن الرب « لأعرفه وقوة قيامته وشركة الآلهة » هو نفسه شرح شركة الآلام هذه فى (٢كو ١١) ، وكلها عن تعب فى نشر الكلمة ، وما لاقاه فى سبيل ذلك من ضرب وجلد وسجن واضطهاد ، وجوع وعطش ، وبرد وعرى ، بأسفار مراراً كثيرة ، بيمات مراراً كثيرة ، باخطار فى البر والبحر ، باخطار من اليهود ومن الأمم ومن أخوة كذبة .

وكل هذه الآلام لا علاقة لها مطلقاً بالمطهر ، ولا بالتكفير عن الخطايا ...

ولذلك بعد أن قال « وهب لكم ... أن تتألموا لأجله » ، قال بعدها مباشرة « إذ لكم الجهاد عينه الذى رأيتموه فى » (فى ١ : ٢٩ ، ٣٠) . هذا التعب فى الجهاد ، لأجل نشر الملكوت ، هو الشركة فى آلام المسيح ، التى قال عنها الرسول : لأن السيد المسيح هو الذى بدأ التعب لأجل الملكوت ...

إنه ليس إطلاقاً شركة فى التكفير . فالتكفير عمل المسيح وحده . وليس هو عن آلام المطهر ، لأن الرسول بعد قوله « إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد أيضاً معه » ، قال مباشرة :

« فإننى أحسب أن آلام الزمان الحاضر ، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فىنا » (روم : ٨ ، ١٧ ، ١٨) .

إذن هو يتكلم عن آلام الزمان الحاضر ، وليس عن آلام المطهر بعد الموت . هذا هو الألم نشترك فيه مع المسيح . ليس مطلقاً آلام التكفير التى كانت على الصليب . حاشا ... أقرأ أيضاً أمثلة أخرى لهذه الآلام فى (٢كو ٤) ، (٢كو ٦) . يكفى الآن فقط أن نقبس منها قوله « فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام لله : فى صبر كثير ، فى شدائد فى ضرورات ، فى ضيقات فى ضربات فى سجون ، فى اضطرابات فى أتعاب ، فى أسهار فى أصوام ... » (٢كو ٦ : ٤ ، ٥) .

أما آلام التكفير فاجتازها المسيح وحده وهو يقول « قد دست المعصرة وحدى ، ومن الشعوب لم يكن معى أحد ... » (اش ٦٣ : ٣) .

هذا هو الذى قاله الرب « الآتى من آدوم بشياب حمر » (اش ٦٣ : ١) . وكون عملية الكفارة قد قام بها الله وحده ، دون أية شركة معه من الإنسان ، فهذا بلا شك يتفق مع قول الكتاب « متبررين مجاناً بنعمته ، بالفداء الذى يبسوع المسيح ، الذى قدمه الله كفارة... » (رو ٣ : ٢٤) .

إن قال أحد إن الإنسان يشترك مع الرب فى عملية التكفير ، فإنه يناقض عقيدة الخلاص المجانى بالدم ، بالفداء .

فكلمة (مجاناً) فى (رو ٣ : ٢٤) معناها أن الإنسان لم يدفع أى ثمن من جانبه ، لا إيماناً ولا أعمالاً . تقول إذن وما قيمة الإيمان والأعمال والتوبة وممارسة الأسرار من جهة الإنسان أليست اشتراكاً . أقول لك كلا إن ثمن الخلاص دفعه المسيح وحده .

أما الإيمان والأعمال والتوبة والأسرار ، فكلها لكى نستحق هذا الخلاص المجانى وهذه الكفارة المجانية ...

إن الإيمان ليس ثمناً للخلاص ، ولا الأعمال هى الثمن ، ولا الأسرار ، ولا التوبة . إنما الخلاص ثمنه دم المسيح وحده وهو يوهب مجاناً للمؤمنين التائبين المعمدين ...

التوبة فيها آلام : آلام الاعتراف ، وكشف النفس ، وتبكيك النفس ، والحزى والعارو وآلام الندم والدموع ووخز الضمير... وربما آلام تأديبات أيضاً . ولكن ليست هذه كلها تكفيراً عن الخطايا ، ولا اشتراكاً فى التكفير . ولكن نفع هذا لتصل إلى محبة الله ونقاوة القلب ، وتستحق بذلك الخلاص المجانى ، الذى ثمنه الوحيد هو دم المسيح وكفارته ...

هذا الخلاص نلناه ، لا بأعمال التوبة ، ولا بالعقوبات والقصاصات .

« لا بأعمال فى بر عملناها ، بل بمقتضى رحمته خلصنا ، بغسل الميلاد الثانى وتمهيد الروح القدس ، الذى مكبه علينا يسوع المسيح مخلصنا... » (تى ٣ : ٥ ، ٦) .

أما اعتبار الإنسان شريكاً للمسيح في عمل الكفارة ، فلا يمكن إطلاقاً أن تسنده آية واحدة من الإنجيل . ولا يجوز إطلاقاً أن نفهم الشركة في الآلام فهماً خاطئاً ، ونعتبرها شركة في عملية التكفير عن الخطايا . فالآلام المسيح لم تكن فقط الآلام على الصليب من أجل الفداء والكفارة ، وإنما حياته كلها كانت سلسلة من الآلام ، حتى قيل عنه إنه «رجل أوجاع ومغتر الحزن» (اش ٥٣ : ٣) . والذي يدرس الكتاب جيداً ، يعرف أن النار التي تعرضت لها ذبيحة المحرقة حتى تحولت إلى رماد (لا ٦) ، هي غير النار التي تحبز بها مقدمة الدقيق (لا ٢) . وليس الآن مجال شرح هذه الأمور البسيطة . وهكذا نحن نشترك في آلام المسيح على الأرض ، ولكن ليس آلام الفداء والكفارة .

٩

العقوبات الكنسية

يشدد أختونا الكاثوليك على العقاب الزمني ، أي الذي له زمن ، وفي هذا يختلف عن العقاب الأبدي . ويقولون إن مغفرة الخطية ، لا يمنع من عقوبتها بعد المغفرة . ويضربون لإثبات ذلك أمثلة من الكتاب . ثم يشددون في لزوم هذا العقاب الزمني ، حتى إنه إذا لم يوف على الأرض ، يصير وفاؤه في المطهر بعد الموت ... وهذه نقطة هامة في عقيدة المطهر .

ونحن نوافق على عقوبة أرضية . لكن لا نوافق على عقوبة بعد الموت .

وكل العقوبات التي تحملها الأبرار أو التائبون ، والتي سجلها الكتاب المقدس ، كلها عقوبات أرضية ، وليست عذابات بعد الموت . هي عقوبات أرضية ، وليست عقوبات مطهريّة .

كما أن الكتاب لا يقول إن هناك عقوبة أرضية على كل خطية .

والا وقع الإنسان في اليأس . لأننا في كل يوم نخطيء . ولأننا « في أشياء كثيرة نعثر جميعنا » (يع ٣ : ٢) . « وإن قلنا إنه ليس لنا خطية، نضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١٠١ : ٨) . وإن كانت هناك عقوبة أرضية على كل خطية، لأصبحت حياتنا سلسلة لا تنقطع أبداً من العقوبات، وبهذا يقع الإنسان في الإحباط .

والكتاب المقدس يحمل أمثلة عديدة لمغفرة بلا عقاب وبلا عذاب :

والا فما هي العقوبة الأرضية التي وقعت على الإبن الضال (لوقا ١٥)؟! أو ما هو العقاب الزمني الذي تعرض له زكا العشار (لوقا ١٩)؟! أو ماذا كانت العقوبة التي وقعها الرب على المرأة الخاطئة التي ضبطت في ذات الفعل، والتي قال لها « ولا أنا أدينك . اذهبي بسلام ولا تخشئي أيضاً » (يو ٨ : ١١) .

أوما هو العقاب الزمني الذي نالته المرأة الخاطئة التي بللت قدمي الرب بدموعها ومسحتها بشعر رأسها؟! هذه التي فضلها الرب على الفريسي . وقال إنه « قد غفرت لها خطاياها الكثيرة، لأنها أحبت كثيراً » . ثم قال لها « إيمانك قد خلصك ؛ اذهبي بسلام » (لوقا ٧ : ٣٧ - ٥٠) ... فهل ذهبت هذه أو غيرها إلى المطهر؟!

أوما هي العقوبة الأرضية التي فرضت على إنكار بطرس؟! وما هو العقاب الزمني الذي فرض على شاول الطرسوسي في اضطهاده للكنيسة . حقاً إن بطرس وبولس تبعاً في حياتهما . ولكنه كان تبعاً من أجل الكرازة له مكافأته وأكاليه ومجده . ولم يكن عقاباً على خطية ...

نقطة أخرى نقولها . وهو أن العقوبة الأرضية هي للفائدة الروحية، وليس للتكفير...! ليست هي ثمن الخطية ، إنما هي تأديب وعلاج .

إنها توقع لتقود إلى التوبة ، كما حدث لخاطيء كورنثوس ، أو لتقود إلى الانسحاق والاتضاع كما حدث لداود النبي . أو أنها تكون درساً للآخرين، مثلما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس « الذين يخطئون، وبخهم أمام الجميع، لكي يكون عند الباقيين خوف » (١ تي ٥ : ٢٠) .

ولكن لا يمكن مطلقاً أن تكون للتكفير ، أو لإيقاء العدل الإلهي .

أما « أجرة* الخطية فهي الموت » (رو ٦ : ٢٣) أي الموت الأبدى .

فإن أخطأ إنسان ، وفرض عليه الكاهن صوماً أو مطانيات ، فلا يكون هذا الصوم أو هذه المطانيات وفاء العدل الإلهي . فلا وفاء للعدل الإلهي إلا بدم المسيح .

إن القصاصات الكنسية لا علاقة لها مطلقاً بوفاء العدل الإلهي :

أيستطيع إنسان أخذ تأديبات من الكنيسة أن يقول لله : أنا الآن لست مديوناً لك بشيء ، لأنى وفيت ديونى بالقصاصات الكنسية !!؟

هذا كلام لا يمكن أن يقبله أى لاهوت مسيحي . لأن ديوننا لم يستطع إيفاءها سوى دم المسيح ، الذى هو وحده يطهرنا من كل خطية (١ يوا : ٧) ... أما ما تفرضه الكنيسة من عقوبات ، ما هو إلا لون من العلاج أو التأديب .

لذلك فعبارة (قصاصات) ، لوفاء العدل الإلهي ، عبارة غير سليمة .

ربما كلمة (تأديبات) أكثر توافقاً من كلمة (قصاصات) ...

ونظام العقوبات بسنوات ، لم يرد فى الإنجيل . ولكن وضعته الكنيسة .

طبعاً وضعته بسلطانها الإلهي فى الحل والربط (متى ١٨ : ١٨) . نحن لانمانع فى هذا . ولكن نمانع فى أن السلطان الإلهي يستخدم فى الربط ، ولا يستخدم فى الحل !! إن الكنيسة التى فرضت العقوبة ، بسلطانها أن ترفعها . وإن كانت قد فرضت عقوبة للعلاج ، لتعود الخاطيء إلى التوبة ، وبعد الموت لا علاج ولا توبة ...

العقوبة الكنسية ، كما تفرضها الكنيسة ، يمكن أن ترفعها .

إذن من واجب الكنيسة أن ترفع عقوبتها عند الموت .

وإلا يكون فى صلاتها عن الموتى لون من التناقض !!

لأنها فى صلاتها عن الموتى ، أعنى عن المنتقلين ، تطلب لهم من الله الرحمة والمغفرة ، وأن يريحهم فى فردوس النعيم ، بينما هى فى عقيدة المطهر لا تزال مصرة

على العقوبة والقصاص ، ومصرة على أن العدل الإلهي لم يستوفِ حقه بعد ، ومصرة على أن المغفرة لا تمنع العقوبة ، حتى عند الموت...!!!

والعقوبات الكنسية هي في الحياة الأرضية فقط هي عقوبات أرضية . لا يمكن أن يكون لها إمتداد بعد الموت . والمفروض أن الكنيسة حينما تعطى عقوبة كنسية ، تحالل الشخص منها في جنازه ، حينما تصل عليه «أوشية الراقدين» .

وتوجد أمثلة كثيرة في القوانين الكنسية ، كانت الكنيسة فيها توقف العقوبة عند التعرض للموت ، وتسمح للمعاقب أو المقطوع من شركة الكنيسة أن يتناول من الأسرار المقدسة ، ومنها :

(انقرا ٦) على الرغم من أن الذين ذبحوا للأوثان ، كانت نحكم عليهم بسنوات حرمان من الكنيسة ، إلا أن هذا القانون يقول :

« على أنه في حين الخطر ، أو توقع الموت لمرض أو لأى سبب ، فليصر قبولهم بشروط محددة» .

(انقرا ٢٢) عن القائلين عمداً : يسمح لهم بالشركة التامة في آخر حياتهم .

(قيصرية الجديدة - ٦) « إذا تزوجت امرأة بأخوين ، فلتطرح خارجاً ، أى من الشركة ، حتى ساعة موتها ، إذ يطبق عليها حينذاك فعل الرحمة ، فتقبل مع التائبين ، بشرط أن تتعهد إذا شفيت من مرضها أن تحل رباط الزيجة» .

(نيقية : ١٣) . وهو أول مجمع مسكوني ، يضع قاعدة وهي :

« إذا اشرف إنسان على الموت ، فيجب ألا يجرم من الزاد الأخير الذى لا غنى عنه» «...وعلى الإجمال إذا أختضر شخص ، وطلب أن يتناول القربان ، فليمنحه الأسقف سؤله بعد الفحص» .

(قرطاجنة : ٧-) ويسمى هذا المجمع بجمع افريقيا (سنة ٤١٧م) - يقرر:

« إذا صار أحدهم في خطر الموت أثناء غياب الأسقف، وطلب مصالحته أمام المذبح الإلهي، فيجب على القس أن يستشير الأسقف، ثم يصالح الرجل المريض حسب طلبه، موطداً إياه بالنصائح الخلاصية» .

(باسيليوس ٧٣) : القديس باسيليوس الكبير معروف بتشدده . ولكنه يقول :

« من أنكر المسيح ، ثم أعترف بخطيئته وتاب ، وبقي نائحاً مدة حياته ، يناول الأسرار المقدسة ساعة موته»

(غ. النيسى ٢) : يقول القديس أغريغوريوس اسقف نيصص ، وهو أخو القديس باسيليوس الكبير ما يشبه ذلك :

« الذين يسقطون دون تهديد أو اكراه وينكرون المسيح ... لا يجوز قبولهم في الشركة إلا ساعة موتهم» .

وهكذا نرى من كل ما سبق لقوانين القرن الرابع وبداية الخامس :

إن الكنيسة في أكثر عصورها تشدداً ، وفي أشع الخطايا : مثل إنكار المسيح ، والذبح للأوثان ، والقتل العمد ، ما كانت تترك الخاطي يترك العالم وعليه قصاصات . بل كانت تقبله في الشركة - إذا تعرض للموت - وتناولته من الأسرار المقدسة .

أما ما يقال في عقيدة المطهر الكاثوليكية ، من أن إنساناً يموت وعليه قصاصات من الكنيسة ، يوفيهما بعد موته بعدابات مطهريه ، فهذا أمر لم يعرفه مطلقاً تاريخ الآباء الأولين ، وأيضاً لا تعرفه الرحمة . ولا يوجد له أي سند كتابي ...

كما أن هناك ملاحظة هامة نقولها ، وهي :

نظام العقوبات الكنسية كان مرتبطاً بنظام الخوارس في الكنيسة الذي أُلغى قبل إعلان عقيدة المطهر بقرون طويلة .

كان الخاطيء المحكوم عليه من الكنيسة يقضى سنوات خارج الكنيسة ، أو سنوات في خورس الباكين ، أو في خورس الراكعين ، أو في خورس التائبين . ثم

ينتقل إلى خورس المؤمنين، فيحضر قداس الموعوظين وينصرف، أو يحضر قداس القديسين ولا يتناول. ثم يسمح له بالشركة الكاملة والتناول من الأسرار المقدسة... وهذا النظام انتهى تماماً حوالي القرن السادس تقريباً...

أيضاً لا يمكن القول بأنه لا بد من عقوبة، حتى على الخطايا (العرضية): إن لم نأخذها على الأرض، فلا بد أن نأخذها بعد الموت! هذا الكلام غير مقبول...

لننظر ماذا قال الكتاب المقدس، في العقوبات الكنسية أو العقوبات الأرضية، حتى بالنسبة إلى درجات صعبة من الخطيئة، كالانحراف في الإيمان والتعليم، والسلوك بلا ترتيب... قال:

« إن كان أحد يأتيكم، ولا يبجىء بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه، يشترك في أعماله الشريرة» (٢يو١٠ : ١١).

« نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التعليم الذي أخذناه منا» (٢تس٣ : ٦).

« تجنب مثل هؤلاء» (١تى ٦ : ٥) « لا تخالطوا الزناة» (١تى ٥ : ٩). « لا تخالطوا ولا تواكلوا مثل هذا» (١كو ٥ : ١١). « الذين يحفظون وبخهم أمام الجميع، لكي يكون عند الباقين خوف» (١تى ٥ : ٢٠).

فهل يمكن أن تحل عذابات المطهر، محل إحدى هذه العقوبات؟

إذا كان المطهر يعتمد على عقوبات كنسية لم يوف حسابها. فلنبحث معاً ما هي هذه العقوبات؟ وهل هي متساوية مع المطهر، حتى يحل المطهر محلها؟ بعضها منع من التناول، أو ممارسة بعض أيام صوم، أو نسك معينة، أو بعض مطانيات (سجادات)، أو عدم قبول تقدمات ذلك الخاطيء...

فهل هذه العقوبات محل محلها عذاب المطهر، لتوفى حسابها، وهل يكون هذا

عدلاً...؟!؟

الصلاة على المستقلين

إننا نصلي من أجل الراقدين ، الذين أنتقلوا من عالمنا الحاضر .

وكل الكنائس التقليدية ، أرثوذكسية ، وكاثوليكية ، آصلي من أجلهم .

ولكن الكاثوليك يأخذونها علينا ، كما لو كانت إثباتاً للمطهر .

نحن نصلي لأجل الراقدين ، عملاً بصلاة القديس بولس الرسول من أجل أنيسيفورس ، وقوله عنه « ليعطه الرب أن يجد رحمة من الرب في ذلك اليوم » (٢تى ١ : ١٨) . والمقصود بذلك اليوم هنا ، هو يوم الدينونة . كما قال عنه نفسه « وأخيراً وضع لي إكليل البر ، الذى يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل . وليس لي فقط ، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً » (٢تى ٤ : ٨) .

ولم يكن القديس بولس يطلب راحة لأنيسيفورس في (المطهر) !

وإنما (في ذلك اليوم) ، يوم الدينونة الرهيب ، حينما يقف أمام الديان العادل . هذه هي الراحة الدائمة . ونحن نطلب للراقدين الراحة ، فنقول يارب نيحهم . والنجاح كلمة سريانية بمعنى الراحة ، تعودنا أستخدمها . فما المقصود بمعنى الراحة هنا .

نقصد راحة لنفوسهم في مكان الإنتظار ، لأن يوم الدينونة لم يأت موعده .

أى أنهم لا يكونون في قلق أو في اضطراب ، وهم في إنتظار يوم الدينونة ... نطلب أن يعطيهم الرب راحة نفسية ، راحة لنفوسهم التى قد تتذكر خطاياها فتتمب ، إنما حينما تتذاكر مراحم الله ، تشعر براحة ...

والصلاة على الراقدين ، ليس فيها أى ذكر للمطهر إطلاقاً .

فنحن لا نطلب مطلقاً أن يريح الله تلك النفوس من عذاب المطهر ، كأن يقصر مدته ، أو أن يخفف حدته ، أو أن يخرجهم منه ، أو أن يعطيهم احتمالاً له...!! كلا ، فالصلاة على الراقدين لا تطلب شيئاً من هذا كله ، لأننا لا نؤمن بشيء من هذا كله... إنما نطلب لهذه النفوس راحة في مكان الإنتظار، مادامت الدينونة لم تأت بعد .

هذا هو اعتقادنا ، ولا داعى لأن يقوم أحد بتأويل صلواتنا على غير المقصود منها .

وأن ينسب إلينا ما لا نعتقد به . كأن يقول أحد الكتاب الكاثوليك -ساعه الله- إن طلب النجاة من العذابات الجهنمية «المقصود هنا بالعذابات الجهنمية -ما لا يخفى- هو العذابات المطهرة ، التي لا فرق بينها وبين العذابات الجهنمية ، إلا فيما عدا أن الأولى دائمة والثانية مؤقتة» *

نحن نقول في الصلاة على الراقدين « نرحمهم في فردوس النعيم » ، ولا نقول نرحمهم في المطهر!!

ونقول « في الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة » بينما المطهر هو موضع للحزن والكآبة والتنهيد... ونقول أيضاً عن الراحة الأبدية « في أورشليم السمائية ، في كورة الأحياء إلى الأبد»... أين سيرة المطهر في كل هذه الصلوات .

عجيب أن هذا المؤلف يريد إثبات المطهر من كتب الصلوات للكنيسة القبطية الأرثوذكسية!! أبعد ، يا ابنى عن هذا المجال ، فالكنيسة القبطية الأرثوذكسية أدري بمقيدتها...

سؤال آخر نحب أن نقدمه في الصلاة على الراقدين :

أى غزاء تقدمه الكنيسة لأهل الميت في صلواتها في يوم وفاته؟!؟

إن بولس الرسول لم يرفع صلاة فقط من أجل انيسيفورس ، إنما صلى أيضاً من أجل بيت انيسيفورس أن يعطيهم الرب رحمة (٢تى ١ : ١٦) . ونحن ما هو الغزاء الذى نقدمه لأسرة المتوفى؟ هل نقول لهم إنه يتعذب حالياً في المطهر. ولكن

اطمئنوا، إننا نصلى أن مدته لا تطول، ونصلى أن عذابه يخف...؟! أم نعزيهم
بصلوات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية عن تلك النفس: أفتح لها يارب باب
الرحمة... أقبلها إليك... ولتحملها ملائكة النور إلى الحياة... ولتسكىء في أحضان
آبائنا القديسين أبراهيم واسحق ويعقوب...

ثم ما فائدة الصلاة على المنتقلين، إن كان الميت يتعذب؟!

يتعذب أثناء الصلاة، لأن الصلاة عليه لا تكون في لحظة وفاته، بل بعدها
بساعات ويتعذب بعد الصلاة أيضاً، إذ تكون مدة عقوبته في المطهر مستمرة...! ما
شعور أهل المتوفى بقيمة صلواتنا؟! وما شعور المتوفى نفسه وهو في المطهر؟! هل يعان
وقتها لبضع دقائق، ثم يرجع إلى عذابه كما كان... والحكم هو الحكم... يستمر
فيه حتى يتم كل القصاص المفروض عليه!!

إن كنيسةنا القبطية تقرأ الحلّ على روح الميت أثناء صلاتها .

تحاللة من جميع الخطايا التي فعلها وهو في الجسد . وكأنها تقول للرب : هذه
النفس خرجت من عندنا، وهي محاللة من جهة الكنيسة . لا نربطها في شيء .
وبقى أن نتركها في رحمتك يا فاحص القلوب والأفكار، ويا عارف الخفيات
والأسرار... ولكننا مع ذلك نشفع فيها، إذ لبست جسداً، وسكنت في هذا العالم،
وأنت يارب «تعرف ضعف ونقص البشرية» وأنه ليس إنسان بلا خطية، ولو
كانت حياته يوماً واحداً على الأرض...»

فلماذا لا نحنو الكنيسة الكاثوليكية مثلنا على روح الميت، وتحاللة؟! لماذا
تجعله يخرج من العالم وهو مربوط من جهة قصاصات لم يقم بوفائها...؟!

لماذا تقول له نحالك من وصمة الخطية، ولا نحالك من عقوبتها..؟! لماذا
تتمسك بالعقوبة إلى هذا الحد، الذي يحتاج إلى تطهير وتكفير؟! لماذا لا تثق بدم
المسيح الذي «يقدر أن يطهر إلى التمام» (عب ٧ : ٢٥). لماذا لا تثق بدم المسيح
الذي «يطهرنا من كل خطية... ومن كل إثم» (١يو١ : ٧، ٩). ما الحاجة بعد
إلى تطهير؟!

ألم يقل الكتاب « كلنا كغنم ضلنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا » (اش ٥٣ : ٦) .
وإن كانت الكنيسة قد أعطت حلاً في الصلاة على الراقدين ، فإن فكرة المطهر تبطل مفعوله .

وذلك أن الخاطيء بعد حلّ الكنيسة له ، يذهب ليتعذب ويدفع الثمن ! وكان تحليل الكنيسة بلا قيمة...! كأنما أحد القضاة حكم بتبرئة متهم ، أو برفض الدعوى أو حفظ القضية . ومع ذلك يقال لهذا المتهم : عليك أن تقضى عشر سنوات في السجن !! ما قيمة الحكم الذى حصل عليه إذن ؟!

هناك دليل آخر على أن الصلاة على الموتى لا علاقة لها بالمطهر ولا بإعانة النفوس التى فيه ، وهى :

إن الكنيسة تصلى على أرواح الجميع ، حتى عن نفوس القديسين :

فهى بالإضافة إلى صلاة الجناز ، تصلى لأجل الجميع وتقول « أولئك الذين أخذت نفوسهم يارب نرحمهم فى فردوس النعيم . وتصلى أيضاً عن أرواح القديسين ، ثم تقول بعد ذلك « بركاتهم المقدسة فلتكن معنا آمين » ... إنها شركة بين الذين أنتقلوا والذين على الأرض ...

ملاحظة أخرى نضيفها وهى أن الكنيسة لا تصلى لأجل الهالكين .

وذلك عملاً بقول الرسول عن الخطية التى للموت (١ يوه : ١٦) . فإن مات إنسان منتحراً ، ولم يكن فاقداً للعقل ، لا نصلى عليه . وإن مات أحد أثناء ارتكابه جريمة ، لا نصلى عليه . كذلك إن مات وهو فى هرطقة أو بدعة أو ارتداد... أو إن مات وهو فى خطية لم يتب عنها ...

الدينونة

يعتقد أخوتنا الكاثوليك بدينونة خاصة بعد الموت مباشرة :

وهي غير الدينونة العامة التي بعد قيامة الأجساد ...

فيرون أن الإنسان بعد موته مباشرة يقف أمام الله لينال الحكم : إما أن يكون شريراً فيذهب مباشرة إلى جهنم ، أو يكون باراً فيذهب مباشرة إلى السماء ، أو أنه يكون باراً ولكن عليه ديناً للعدل الإلهي ، فيذهب إلى المطهر ، لتطهر نفسه ، ويكفر عن خطيته ويوفى ديونه ... ولكننا نقول إنه :

لم يذكر الكتاب سوى الدينونة العامة . وسنحاول أن نفحصها معاً لنرى على أي شيء تدل :

شرح الرب خير الدينونة فيقول :

« ومتى جاء ابن الإنسان في مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه [أي في مجيئه الثاني] ، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ، ويجمع أمامه جميع الشعوب . فيميز بعضهم من بعض ، كما يميز الراعي الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه ، والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذين معه : تعالوا إليّ يا مباركي أبي ، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم ، لأنني جعت فاطعمتموني ، عطشت فسقيتموني ... فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك ؟ أو عطشاً فسقيناك ... فيجيب الملك ويقول لهم : الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي الصغار فبني فعلتم ... »

« ثم يقول للذين عن اليسار : اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » (متى ٢٥ : ٤١) .

* وعبارة « اذهبوا إلى النار المعدة لإبليس ، معناها أنهم لم يكونوا قد ذهبوا إليها بعد ». لأنه من غير المعقول أن يكونوا قد ذهبوا إلى هذه النار بعد الدينونة الخاصة ، ثم يخرجهم الرب منها يوم القيامة ليختلطوا بالآبرار. ثم يفرزهم عنهم ، ويوقفهم عن يساره ، ويعود فيقول لهم « اذهبوا إلى النار...!! »

* نلاحظ أيضاً أنه بدأ يقول لهم حيثيات حكمه : « لأنى جعت قلم تطعمونى ، عطشت قلم تسقونى . كنت غريباً قلم تأوونى... إلخ » حيثند يجيونه هم أيضاً قائلين « يارب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرباناً أو مريضاً أو محبوساً ، ولم نخدعك ؟ » فيجيبهم قائلاً : الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفلطوه بأحد هؤلاء الأصاغر ، فى لم تفعلوا » (متى ٢٥ : ٤٢ - ٤٤) .

هنا نرى لونا من المحاكمة ، وحواراً وفرصة للدفاع عن النفس .

ثم ينفذ الحكم بعد ذلك « فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي ، والآبرار إلى حياة أبدية » (متى ٢٥ : ٤٦) . ومعنى هذا أنه لم تكن محاكمة من قبل... بدليل أن الآبرار ما كانوا يعلمون ، ولا الأشرار كانوا يعلمون ، معنى حيثيات الحكم ، بدليل أنهم سألوا الرب « متى يارب رأيناك...؟ والرب بدأ هنا (بعد القيامة) يشرح لهم ذنوبهم ، وما كانوا قبلاً يفهمون... »

فإذا كان المضى إلى العذاب الأبدى ، وإلى الحياة الأبدية ، يكون بعد القيامة والفرز والمحاكمة ، فكيف يقال إنه بعد الموت مباشرة ، فى دينونة خاصة !؟

٢ - وكون الدينونة تكون بعد القيامة واضح من قول الرب :

« تأتى ساعة ، فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يوه : ٥ : ٢٨ ، ٢٩) .

إذن هنا قيامة عامة ، ولا يذهبون إلى الحياة أو إلى الدينونة إلا بعدها...

بعد أن تتحد الأرواح بالأجساد التى تخرج من القبور ، ويقف الإنسان كله أمام الله... وهناك شاهد آخر على هذا وهو :

٣ - يقول الرب « فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته .
وحينئذ يجازي كل واحد بحسب عمله » (متى ١٦ : ٢٧) .

وعبارة « حينئذ يجازي » معناها أنه لم يجازهم من قبل ، وإنما حينئذ ، حينما يأتي في مجد أبيه مع ملائكته .

٤ - هذه المجازاة في المجيء ، هي جزء من قانون الإيمان النيقاوى :

وهو قانون الإيمان الذى تؤمن به جميع الكنائس ، وفيه نقول عن المجيء الثانى للسيد الرب : « يأتى في مجده ليدين الأحياء والأموات » .

٥ - نفس المعنى نراه في تفسير الرب لمثل الزوان ، إذ يقول :

« الخقل هو العالم ، والزرع الجيد هو بنو الملكوت ، والزوان هو بنو الشرير...
والحصاد هو إنقضاء العالم . والحصادون هم الملائكة » .

« ... هذا يكون في إنقضاء العالم ، يرسل ابن الإنسان ملائكته ،
فيجمعون من ملكوته جميع المعائر وفاعلى الإثم ، ويطرحونهم في أتون النار »
(متى ١٣ : ٣٨ - ٤١) .

أى أن هذه الدينونة تكون عند إنقضاء العالم . والأشرار يطرحون في
أتون النار في أنقضاء العالم ، وليس بعد الموت مباشرة... وكلمة « يجمعون »
معناها يأتون بهم من كل مكان... وماذا عن الأبرار؟ يتابع الرب شرحه
فيقول : « حينئذ يضىء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم . من له أذنان
للسمع فليسمع » .

وعبارة حينئذ ، أى في ذلك الوقت ، في إنقضاء العالم ، في الدينونة
العامة ، وليس بعد الموت مباشرة... « ومن له أذنان للسمع فليسمع » .

٦ - يشبه هذا أيضاً ما ورد في رسالة يهوذا الرسول :

« وتنبأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم قائلاً : هوذا قد جاء الرب في
ربوات قديسيه... ليصنع دينونة على الجميع... ويعاقب جميع فجارهم على جميع
أعمال فجورهم... وعلى جميع الكلمات الصعبة... إلخ » (يه ١٤ : ١٥) .

إذن هؤلاء لم يكونوا قد عوقبوا قبلاً ، وإنما سيعاقبون حينما يأتي الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ... على هؤلاء الفجار وعلى غيرهم ...

٧ - ومن الآيات الواضحة في هذا المجال قول بولس الرسول :

« لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح ، لينال كل واحد ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢ كور : ١٠) .
فلا يمكن أن تقف الروح وحدها ، لكى تنال جزاء ما كان بالجسد ، خيراً كان أم شراً .

إذن لا بد من الوقوف أمام كرسي المسيح ، بعد أن تتحد الروح بالجسد . وعبارة «أننا جميعاً ، تعنى الدينونة العامة .

وهنا نود أن نقول بعض ملاحظات عما يسمونه (الدينونة الخاصة) :

٨ - ما لزوم الدينونة العامة ، بعد الدينونة الخاصة ؟

إن كان الخاطيء - في الدينونة الخاصة - قد صفى حسابه ، وأخذ عقابه أو ثوابه ، فما لزوم الدينونة العامة بالنسبة إليه ؟!

مادام الإنسان قد وقف أمام الله ونال دينوته ، البار ذهب إلى السماء ، والشريد ذهب إلى جهنم ، وأنتهى الأمر... فما لزوم الدينونة العامة إذن ؟ وما هدفها ؟ وما قيمتها ؟ وما تأثيرها على تلك النفوس ؟ ... ولكن تكون لها قيمة ، إن كانت هى الدينونة الوحيدة التى يتقرر فيها مصير الإنسان

٩ - ومن الآيات الواضحة في الدينونة ، ما ورد في سفر الرؤيا :

« ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض ، والجالس عليه الذى من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع » [هذا عن نهاية العالم طبعاً] « ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله . وأُنفتحت أسفار ، وأُنفتح سفر آخر هو سفر الحياة . ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم . وسلم البحر الأموات الذين فيه ، وسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما . ودينوا كل واحد بحسب أعماله . وطرح الموت والهاوية في بحيرة النار ... (رؤ ٢٠ : ١١ - ١٥)

كيف توجد دينونة قبل أن يقف كل الأموات أمام الله ، وقبل أن يسلم البحر والهاوية
الأموات الذين فيهما؟! وقبل أن تفتح الأسفار وتكشف الأعمال؟

١٠ - والقديس بولس الرسول يتكلم عن الدينونة في المجيء الثاني واستعلان
ربنا يسوع المسيح ، فيقول :

« إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً ، وإياكم
الذين تضايقون راحة معنا ، عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة
قوته ، في نار لهيب ، معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله ... الذين سيعاقبون بهلاك
أبدى » (٢ تس ١ : ٦ - ٩) .

فكيف نقول إن الدينونة تكون بعد الموت مباشرة ، على الرغم من كل هذه
الآيات الصريحة!؟

١١ - وأيضاً لا يتفق العقاب بعد الموت مباشرة ، مع قول بولس الرسول
«...ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب ، تدخر لنفسك غضباً في يوم
الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذي سيجازى كل واحد بحسب أعماله»
(رو ٢ : ٥ ، ٦) .

وهنا يتكلم عن المجازاة في يوم الغضب ، يوم الدينونة .

١٢- وأيضاً هذه الدينونة التي بعد الموت ، ويكافأ فيها الأبرار، كما يعذب
الأشرار، لا تتفق مع كلام الكتاب عن الأكاليل حيث يقول القديس بطرس
الرسول للرعاة «صائرين أمثلة للرعية . ومتى ظهر رئيس الرعاة ، تناولون أكليل
المجد الذي لا يبلى» (١ بط ٥ : ٣ ، ٤) .

وكذلك قول بولس الرسول عن اكليل البر الموهوب له . قال «وأخيراً وضع لي
إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط ،
بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢ تي ٤ : ٨) .

الغنى و لعازر

يستدل بعض أختوتنا الكاثوليك على الدينونة الخاصة من قصة الغنى ولعازر، وقول السيد المسيح إن لعازر كان يتعزى في حضن ابراهيم . وأن الغنى «رفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ... وقال «يا أبى ابراهيم ارسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويرد لسانى، لأنى معذب في هذا اللهيّب» (لو ١٦ : ٢٤) ... ونحن نناقش معاً هذه القصة :

١ - يجمع الكثير من المفسرين على أنها قصة رمزية :

قالها السيد المسيح ليحض الأغنياء على عدم التمتع في الأرض، وترك الفقراء والمساكين محتاجين . وإلا فإن المسكين سيتعزى في السماء، بينما يتعذب الغنى الشحيح

٢ - ومن الدلالة على ذلك حاجة الغنى إلى قطرة ماء ليبرد لسانه في ذلك اللهيّب .

فالمفروض أن جسد الغنى كان في القبر، وروحه هي التى كانت في الهاوية . والروح غير مادية ، ولا يمكن أن يصلح لنا أن يبل لعازر طرف إصبعه بماء لكى يبردها في ذلك اللهيّب !! ثم ما معنى كلمة «يرد لسانى» حيث لا يوجد له جسد، ولا لسان !؟

لعل هذه النار ، هي عذابه النفسى ، إذ شعر بالضيق والهلاك ، بلا رجاء ...

بدليل أنه طلب من أجل أهله ، حتى لا يتعذبون هم أيضاً، ولم يطلب من أجل نفسه، وبخاصة بعد أن أعلن له أبونا ابراهيم قائلاً «وفوق كل ذلك بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرّون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا» (لو ١٦ : ٢٦) .

أو لعل النار التى قال الغنى إنه معذب بلهيبها هي نار الندم أو الخوف، إذ لا توجد أمامه فرصة لتغيير وضعه . أما الهوة المثبتة فهي هوة اليأس ...

إذ هو شاعر أنه لا رجاء له . أما أبونا ابراهيم فله رجاء في الخلاص . ولذلك تنطبق عليه عبارة «فرحين في الرجاء» (رو ١٢ : ١٢) ... وهنا لعلنا نسأل عن المعنى الرمزي أيضاً لقول الغنى «لأن لي أخوة خمسة» (لو ١٦ : ٢٨).

٣- الرقم خمسة كما يقول القديس أوغسطينوس يرمز للبشر .

فالخمس العذارى الحكيمات يرمز إلى كل البشر الأبرار ، والخمس العذارى الجاهلات يرمز إلى كل البشر الخطاة . ورقم خمسة يتميز به الإنسان في حواسه الخمسة ، وفي أطرافه (أصابع يديه وقدميه) ...

فكأن الغنى الهالك ، يتكلم عن كل البشر الهالكين ، أو كل أقرابه وأحبائه حتى لا يهلكوا هم أيضاً ...

٤- الغنى في هذا المثل يرمز إلى الهالكين الذين لا رجاء لهم . فلا علاقة له إذن بالمطهر، حسب المعتقد الكاثوليكي .

ولكن عذابه لم يحن موعده . فالألم من خوف العقوبة الأبدية شيء ، ومكابدة هذه العقوبة الأبدية شيء آخر . هو في مكان أنتظار سيخرج منه في يوم الدينونة الرهيب إلى العذاب الأبدى ، إلى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت .

فما هو فيه ليس هو الدينونة ، إنما الخوف من الدينونة .

٥- حينما ذكر السيد المسيح هذا المثل ، لم يكن الخلاص قد تم ، ولم يكن أبونا ابراهيم قد دخل الفردوس بعد . كان من الراقدين في الهاوية على رجاء ...

وظل هكذا إلى أن تم صلب المسيح ، « ونزل إلى أقسام الأرض السفلى ، وسبى سبياً وأعطى الناس عطايا» (أف ٤ : ٨ ، ٩) . ونقل هذه النفوس إلى الفردوس ... ومنهم أبونا ابراهيم ولعازر المسكين .

فكل الآباء قبل الصلب كانوا منتظرين في الهاوية ، كما قال الرسول «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون، وهم لم ينالوا المواعيد، لكنهم نظروها من بعيد وصدقوها وحيوها...» (عب ١١ : ١٣) ... كانوا منتظرين خلاص الرب . وفي ذلك الوقت لم يكن ابراهيم في النعيم الأبدى . وقد أنتقل بعد الصليب إلى الفردوس ...

على أن الفردوس أيضاً ، هو مكان أنتظار ، سينتقل منه أبونا ابراهيم إلى النعيم الأبدى ، إلى أورشليم السماوية .

أما الآن فإن « كل الخليقة تنن وتمنخض معاً » حتى الرسل الذين لهم باكورة الروح (روا : ٨ - ٢١ - ٢٣) . « منتظرين التبنى فداء أجسادهم » ، هذا الذى يتوقعونه بالصبر (روا : ٨ : ٢٥) . هؤلاء الأبرار هم محروسون بإيمان ...

« لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » (ابط ١ : ٥) .

حينما نقام فى مجد ، وفى قوة ، ويلبس هذا الفاسد عدم فساد (١ كوا : ٤٣ - ٤٩)

٦ - على أن هذه القصة - من ناحية أخرى - تدل على ٣ أمور هامة :

أ - أن هناك مكانين فقط : أحدهما للعزاء ، والآخر للعذاب ، ولا ثالث لهما .

ب - أنه لا يمكن أن ينتقل الإنسان بعد الحساب من مكان إلى آخر ، حسب قول أبينا ابراهيم (لوا : ٢٦) .

ج - أنه لا شفاعة ترجى بعد صدور الحكم الإلهى .

وكل هذه الأمور الثلاثة ضد المطهر ...

القصة إذن رمزية ، ولا تدل على دينونة خاصة .

٧ - أما إذا كان الإنسان بعد الموت « أعماله تتبعه » (رؤا : ١٤ : ١٣) ويبدأ أن يحس بأنه ضائع ، إذ تقف خطاياها أمامه ترعجه ... أو يحس براحة فى الضمير وثقة فهذا أحساس للنفس ، وليس دينونة ...

كتلميذ يخرج من أداء الامتحان ، وهو فرح واثق بنجاحه ، إذ قد أجاب حسناً . وتلميذ آخر يخرج وهو يبكى ، متأكد من رسوبه . ومع ذلك يبقى الاثنان فى أنتظار النتيجة . ولا يعتبر أحد منهما أنه نجح أو رسب ، إلا بعد إعلان النتيجة .

ونحن نصلى لأجل الذين أنتقلوا من عالمنا ، لأن النتيجة لم تعلن بعد . وهم لا يزالون فى مكان الإنتظار ...

الفهرست

صفحة	
٩	الفصل الأول : عقيدة أخوتنا الكاثوليك
٢١	الفصل الثاني : رفض المطهر من الناحية اللاهوتية
٢٢	المطهر ضد الكفارة
٢٤	المطهر ضد عقيدة الخلاص
٢٩	المطهر ضد سر التوبة ، والكهنوت
٣٦	المطهر ضد العدل والرحمة
٤٢	المطهر ضد وعود الله
٤٥	الفصل الثالث : نصوص كتابية وتفسيرها السليم
٤٦	يخلص كما بنار
٥٥	ولا في الدهر الآتي
٥٧	الذين تحت الأرض
٥٩	قصة المكابيين
٦٠	الصديق يسقط سبع مرات
٦٤	حتى توفى الفلس الأخير
٦٩	الفصل الرابع : اعتراضات في مناقشة المطهر
٧٠	الذين يعاصرون القيامة
٧١	مشكلة الجسد والروح
٧٣	قديم العهد القديم
٧٤	ما فائدة الصلوات
٧٥	المطهر تطهير أم تكفير
٧٨	الغفرانات
٨٦	زوائد القديسين
٨٩	مشاركة المسح
٩٤	العقوبات الكنسية
١٠٠	المصلاة على المستقلين
١٠٤	الدينونة
١٠٩	الغنى ولعازر

فصل الكتاب

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

هذا الكتاب جزء من الحوار اللاهوتي مع
أئمة الكاثوليك.

ناقشنا فيه بكل محبة وموضوعية عقيدة الطهر
عند الكاثوليك كما نستخدم كتبهم --

التصالح لأول خصماء عقيدة الطهر. ثم
بحثنا هذه العقيدة وعلاقتها بمبادئ أخرى أساسية،
مثل الخلاص، ياتداء والكفارة، وعلاقت
بالكهنوت وسر التوبة، وبالغفرة جنة.

ثم تناولنا آيات الكتاب التي أتمد عليها
الكاثوليك، وناقشنا مفاهيمها، مع تقديم
اغتصير السليم.

وتعرضنا لموضوع الفرائد، والقبويات،
الكنسية، والقوية الأرضية، وعقوبة الخفايا
للغفوة، والمظهر بين التطهير والتكبير، وعقوبة
الروح والجسد، ومعنى الميتونة، ومرمدها، وكلام
الكتاب عنها، وكذلك الصلاة على المنفلين.

مع أسير نتعلل بالموضوع.

البابا شنودة الثالث